سلسلة التراث الإنجيلي

عبـودية الإرادة

بقلم
مارتن لوثر

تعريب / د. فيكتور صموئيل بدروس

اسم الكتاب : عبودية الإرادة
تعريب كتاب: Born Slaves وهو تبسيط لكتابThe Bondag of the will
اسم المؤلف : مارتن لوثر
المعرِّب : د. فيكتور صموئيل بدروس
الناشر : الرابطة الإنجيلية بالشرق الأوسط ت : ٢٤٨٤٨٠٠٨
المطبعة : شركة الطباعة المصرية ت : ٤٦١٠٠٥٨٩ / ٤٦١٠٢٠٩٥
رقم الإيداع : ٢٨٠٩ / ٢٠١٣

تقديم

المُصلِح واللاهوتُي الموهوب – الألماني مارتن لوثر، اختبر شخصيًّا ما سُجِّل في هذا المؤلف من قناعات. وقد تأسست قناعاته على فهمٍ سليمٍ لمضمون الوحي الإلهي الذي يؤكدُ على شناعةِ وفداحةِ سقوط الجنس البشري في عداوةٍ دائمة، ومعارضة متواصلة لكل ما يُمت بصلةٍ للقداسة والنزاهة الإلهية؛ فالإنسان حتى في تديُّنِه وممارساته الدينية، يبقى معارضًا وناقضًا للصلاح الإلهي. وقد اختبر لوثر وعرف عن قُرب أن الرب في نعمته الشخصية هو الذي أخذ المبادرة التي بها يتحرر البشرُ من كابوس عدائهم لله وانفصالهم عن صلاحه. الإله الحق هو وحده مصدر النعمة الخلاصية التي تهبُ الإنسان الحرية الحقيقية والإيمان الثابت الأكيد.

صدق قول الإنجيل المبارك عن العطية الإلهية في المسيح المخلِّص: "وتعرفون الحق، والحق يحرركم" (يوحنا ٣٢:٨)، "فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارًا (يوحنا ٣٦:٨).

القس/ فيكتور عطاالله
المدير/ العام المؤسس
الرابطة الإنجيلية في الشرق الأوسط (ميرف)

كلمة المعرِّب

لقد قمت بتعريب كتابBorn Slaves الذي أعدَّهClifford Pond عن الكتاب الأصلي لمارتن لوثر بعنوان The Bondage of The Will عام ١٥٢٥ أي عبودية الإرادة، وهو العنوان الذي وُضع لهذا التعريب. ومع أني كتبت اسم المؤلف الأصلي مارتن لوثر لكني أحب أن أنوِّه أن مارتن لوثر كان ألمانيا ولا يوجد في اللغة الألمانية ما ينطق على أنه "ث" وبذلك فإن الاسم الصحيح لمارتن لوثر هو **مارتن لوتِر** وليس مارتن لوثر.

لقد كُتب ما قاله الآخرون بحروف قاتمة (Bold) ومائلة (Italic) ليتميز ما قاله عن ما قاله الآخرون.

المعرِّب

د. فيكتور صموئيل بدروس

استهلال

السـؤال

السؤال هو: هل يمتلك الإنسان ما يمكن أن نسمّيه "إرادة حرة"؟ هل يمكن أن يلجأ الإنسان إلى المسيح للخلاص من خطاياه بمحض إرادته ودون مساعدة؟
يجيب إرازموس: ***نعم.***
أما لوثر فيقول **لا** (مدوّية).

لقد كان لوثر مقتنعا بأن "الإرادة الحرة" تطعن في جوهر العقيدة الكتابية للخلاص بالنعمة وحدها، من خلال الإيمان وحده. يجب أن يكون لنا نفس هذا الاقتناع، بل ويجب أن نقاوم عقيدة "الإرادة الحرة" كما فعل لوثر. لقد قال إرازموس: ***أنا أفهم "الإرادة الحرة" على أنها قوة إرادة الإنسان، التي بها يُخضِع نفسه للأمور التي تقوده إلى الخلاص الأبدي، أو أن يبتعد عنها بعيدًا.*** وردًّا على هذا القول يجب أن نقول "**لا**" جازمة, فالإنسان وُلد عبدًا للخطية. إنه ليس حرًّا.

مقدمة

خلفية الكتاب والخلاف مع إرازموس

لقد كتب مارتن لوثر كتاب "عبودية الإرادة" كإجابة على تعليم ديسيدرياس إرازموس الذي وُلد في روتردام ما بين عام ١٤٦٦ وعام ١٤٦٩م. لقد كان راهبا أوغسطينيا لمدة سبع سنوات، ثم سافر إلى إنجلترا، وهناك قابل رجالا أثاروا أشواقه لمتابعة دراسة اللغة اليونانية، وانتهى الأمر بأن كتب إرازموس نصا نقديا بارعًا للعهد الجديد باللغة اليونانية (١٥١٦). لقد رفض الأساليب الخيالية في تفسير الكتب المقدسة والكثير من خرافات معلمي الكنيسة، كما ثار على الكسل والرذيلة المنتشرة في الأديرة، ولكن بالرغم من ذلك، لم يكن إرازموس مؤمنا إنجيليًا. لقد كان من أتباع النزعة الإنسانية الملحدة، معتقدًا أن ***البشر يمكنهم أن يعملوا للحصول على الخلاص، عوضا عن الاتكال على موت يسوع المسيح وقيامته فقط.*** لقد فضَّل الأسلوب البسيط للتعليم المسيحي عن الأسلوب المعقد، الذي يتَّبعه اللاهوتيون المحترفون، وتفادى الجدل، وظل طويلا قبل أن يكشف عن موقفه من "الإرادة الحرة"، وعندها وجد مارتن لوثر أن ذلك تحدٍّ لا يمكن تجاهله.

لقد وُلد مارتن لوثر في ساكسونيا، وكان يصغر إرازموس بحوالي ١٤ سنة، وبينما كان لوثر في أحد الأديرة حدث له اختبار مثير عن إنجيل نعمة الله، ومنذ ذلك الحين عرف أن كل اختبار وكل عقيدة يجب أن تُختبر حسب سلطان الكتاب المقدس. لقد عرف أن الخلاص "بالنعمة بالإيمان وذلك ليس منكم، هو عطية الله، ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد" (أف ٢:٨-٩). إن اختباره أكد هذا الاقتناع.

كان لوثر أستاذا لاهوتيا كما كان راعيا. لقد عرف شعبه أنه كان يحس بما يعظ به، فلم يكن عالِما جافًا. إنه شعر بوطأة الأبدية في كل مرة كان يعظ فيها، وهذا كان يفرض عليه أحيانا أن يأتي بأمور غير مألوفة بل وأيضا خطيرة. كان مستعدًا أن يدافع عن حق الله ضد العالم كله.

في البداية كان يبدو أن إرازموس مناصر للوثر، لأنهما كليهما رفضا أخطاء وسقطات الكنيسة الرومانية، غير أن لوثر تمادى في تحدي تعاليم الكنيسة الرومانية عن الخلاص بالأعمال، مؤكدا أن "البار بالإيمان يحيا" (رو ١٧:١). كان إرازموس لا يزال يعمل في الكنيسة الرومانية كعالم، وأخيرًا استسلم لضغوط كنيسته ليقر تعليم "الإرادة الحرة". وفي تحدٍ لطلب لوثر ألا يفعل ذلك، كتب كُتَيِّبًا حول "الإرادة الحرة" في عام ١٥٢٤، وكتب إرازموس للملك هنري الثامن قائلا: ***"لقد طُرح الموت. لقد خرج الكتاب الصغير ليرى النور"***، وقد أَعجَب هذا الكتاب البابا والإمبراطورية الرومانية، كما أثنى عليه الملك هنري الثامن.

هنا أعلن لوثر أن إرازموس عدو الإيمان الإنجيلي. لقد حسم الله المعركة الحامية بين هذين الرجلين لفائدة ملكوته، وأدت هذه المعركة إلى صدور بيان عظيم للعقيدة الإنجيلية، أثرى كنيسة المسيح منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا، ألا وهو كتاب "عبودية الإرادة" للوثر. ونحن نقدم هنا ملخصا لذلك العمل العظيم. لقد احتفظنا بالكثير من أسلوب لوثر، لكننا لم نتبع نظام لوثر.

والآن نبدأ من حيث توقف لوثر، وذلك بتلخيص العقيدة الإنجيلية لعبودية الإرادة، ونحن اتبعنا ذلك في أقسام أُخَر، فيها يعرض لوثر حجج إرازموس ثم يدحضها.
إن أسلوب لوثر يجبرنا أن نضيف كلمات معينة في كل مرة يستخدم فيها عبارة "الإرادة الحرة". على سبيل المثال: "الإرادة الحرة" التي يُفترض وجودها. لكننا اخترنا أن نعكس

المعنى الذي يقصده لوثر، باستخدام الأقواس الصغيرة – "الإرادة الحرة"، وفي الفصول من الثاني إلى الرابع احتفظنا بالصيغة المباشرة (المبني للمعلوم) لنحتفظ بالجو العام لعمله بقدر المستطاع. لم نتعرض هنا لكل الجدل الذي استخدمه لوثر، وإلا لتضخم هذا التبسيط بلا مبرر.

المحتويات

			صفحة
إستهلال	:	السؤال	٥
مقدمة	:	خلفية الكتاب والخلاف مع إرازموس.	٦
الفصل الأول	:	ما هو تعليم الكتاب المقدس.	١٠
الفصل الثاني	:	ما علَّمه إرازموس.	٣٣
الفصل الثالث	:	رأي لوثر في تعليم إرازموس.	٥٤
الفصل الرابع	:	تعليقات لوثر على معالجة إرازموس للنصوص التي تنكر "الإرادة الحرة".	٧٠
تذييل	:	التاريخ التابع للجدال وأهميته اليوم.	٨٠

(مادة هذا الكتاب وهي موجز لعمل لوثر موجودة في الفصول من الأول حتى الرابع أما الاستهلال والمقدمة والتذييل فهي تعليقات حديثة على أعمال لوثر).

الفصل الأول

ما هو تعليم الكتاب المقدس

صفحة

الجدال الأول : الجُرم العام للجنس البشري يبرهن على أن"الإرادةالحرة" زائفة. ١٢

الجدال الثاني : السيادة العامة للخطية تبرهن على أن "الإرادة الحرة" زائفة. ١٤

الجدال الثالث : "الإرادة الحرة" لا يمكن أن تَلقَى قبولا من الله بواسطة حفظ الناموس الأخلاقي والطقوس الدينية. ١٥

الجدال الرابع : لقد صُمم الناموس ليقود البشر إلى المسيح بإعطائهم معرفة الخطية. ١٧

الجدال الخامس : إن عقيدة الخلاص بالإيمان بالمسيح تبرهن على زيف "الإرادة الحرة". ١٨

الجدال السادس : ليس هناك مجال لفكرة الاستحقاق أو المكافأة. ٢٠

الجدال السابع : لا قيمة "للإرادة الحرة" ولا علاقة لها ببر الإنسان أمام الله. ٢١

الجدال الثامن : حفنة من الحجج. ٢٢

الجدال التاسع : إن بولس واضح تماما في تفنيد "الإرادة الحرة". ٢٣

الجدال العاشر : إن حالة الإنسان بدون الروح القدس توضح أن "الإرادة الحرة" لا تستطيع عمل شيء روحي. ٢٣

الجدال الحادي عشر : الذين أقبلوا إلى معرفة المسيح لم يفكِّروا مُسبقًا فيه ولا طلبوه ولا هيأوا أنفسهم له. ٢٤
الجدال الثاني عشر : إن الخلاص لعالَم خاطئ هو بنعمة المسيح عن طريق الإيمان به وحده. ٢٥
الجدال الثالث عشر : إن ما جرى لنيقوديموس في يوحنا ٣ يتعارض مع "الإرادة الحرة". ٢٦
الجدال الرابع عشر : "الإرادة الحرة" لا قيمة لها لأن الخلاص بالمسيح وحده. ٢٧
الجدال الخامس عشر : يعجز الإنسان عن أن يؤمن بالإنجيل، لذلك لا تستطيع كل مجهوداته أن تخلِّصه. ٢٨
الجدال السادس عشر : عدم الإيمان العام يبرهن على زيف "الإرادة الحرة". ٢٩
الجدال السابع عشر : قوة جسد الخطية في المؤمنين الحقيقيين يدحض "الإرادة الحرة". ٢٩
الجدال الثامن عشر : معرفة أن الخلاص لا يعتمد على "الإرادة الحرة" يمكن أن تكون مشجِّعة جدًّا. ٣٠
الجدال التاسع عشر : إن نزاهة الله لا يمكن أن تُلطَّخ. ٣٠

تشبه الكتب المقدسة عدة جيوش تقاومها فكرة ***امتلاك الإنسان "إرادة حرة" ليختار ويقبل الخلاص،*** لكن سيكفيني أن أقدم اثنين من الجنرالات للمعركة وهما بولس ويوحنا، مع القليل من قواتهما.

الجدال الأول: الجُرم العام للجنس البشري يبرهن على أن "الإرادة الحرة" زائفة.

في رو ١:١٨ نجد الرسول بولس يعلِّم أن كل الناس بدون استثناء يستحقون عقاب الله. "لأن غضب الله مُعلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم". لو أن لكل الناس "إرادة حرة" والكل بدون استثناء تحت غضب الله، فمعنى هذا أن "الإرادة الحرة" تؤدي بهم إلى اتجاه واحد فقط – وهو "الإلحاد والشر".

إذًا أين قوة "الإرادة الحرة" التي تعينهم في فعل الصلاح؟ إذا وُجدت "الإرادة الحرة" فلا يبدو أنها قادرة على مساعدة الناس للخلاص لأنها تتركهم تحت غضب الله.
يتهمني البعض بأني لا أتبع بولس بدرجة كافية. إنهم يدَّعون أن كلمات بولس: "على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم" ***لا تعني أن الكل بدون استثناء مجرمون في نظر الله،*** ويجادلون بأن ***النَّص يترك مجالا لبعض الناس الذين لا "يحجزون الحق بالإثم".*** لكن بولس يستخدم صيغة عبرية للكلمات التي لا تدع مجالا للشك في أنها تعني إثم كل الناس.

ليس هذا فقط، بل لاحظوا ما كتبه بولس قبل ذلك مباشرة، ففي العدد ١٦ يوضح بولس أن الإنجيل هو "قوة الله للخلاص لكل من يؤمن". لا بد أن هذا يعني أنه بعيدًا عن قوة الله في الإنجيل لا يملك أحد القوة في ذاته ليرجع إلى الله. ويستطرد بولس بالقول إن هذا ينطبق على كل من اليهود واليونانيين. لقد عرف اليهود أدق تفاصيل نواميس

الله، لكن ذلك لم يخلصهم من غضب الله، وتمتع اليونانيون بمزايا ثقافية مدهشة، لكن هذه لم تقرّبهم إلى الله. كان هناك يهود ويونانيون حاولوا بكل جهدهم أن يصححوا أوضاعهم مع الله، لكن برغم كل امتيازاتهم و"إرادتهم الحرة" فإنهم فشلوا فشلا ذريعا؛ فلا يتردد بولس أن يدينهم جميعا.

ثم لاحظوا أنه في العدد ١٧ يقول بولس إن "برَّ الله مُعلن". إذًا يعلن الله برَّه للناس. لكن الله ليس ساذجا، فلو أن الناس لم يحتاجوا معونة الله، لما أضاع وقته ليعطيهم تلك المعونة. في كل مرة يتجدد أناس فذلك بسبب أن الله أتى إليهم وهزم جهلهم بإظهار الإنجيل لهم، فبدون ذلك لا يمكنهم أن يخلِّصوا نفوسهم. الواقع أنه في كل التاريخ البشري لم يدرس أحد بنفسه حقيقة عقاب الله كما علَّمها الكتاب المقدس، ولم يحلم أحد في الحصول على سلام مع الله من خلال حياة مخلِّص متفرّد وعمله، الإله – الإنسان يسوع المسيح. أما اليهود فقد رفضوا المسيح برغم كل تعاليم أنبيائهم. يبدو أن نفس الصلاح الذي بلغه بعض اليهود والأمم منعهم من أن يطلبوا الله بحسب طريقه هو؛ لأنهم صمموا أن يعملوا أشياء بطرقهم الخاصة، لذلك فبقدر ما تحاول "الإرادة الحرة" بقدر ما تسوء الأمور.

لا توجد مجموعة ثالثة من الناس في أي مكان ما بين المؤمنين وغير المؤمنين، مجموعة تستطيع أن تخلِّص نفسها. إن الأمم واليهود يشكلون كل البشرية، وكلهم تحت عقاب الله. لا أحد لديه القدرة أن يرجع إلى الله، لذلك لزم أن يُظهر نفسه لهم أولا، فلو كان بإمكان "الإرادة الحرة" أن تكتشف الحقيقة، لكان بإمكان أحد اليهود أن يكتشفها. إن أعظم منطق لدى الأمم وأقوى الجهود لدى أفضل اليهود (رو ٢١:١ ؛ ٢٣:٢ ، ٢٨ ، ٢٩) لم تستطع أن تقرّبهم من الإيمان بالمسيح. إنهم مدانون كخطاة مثلهم مثل باقي الناس. فإن كان لدى كل الناس "إرادة حرة" وكل الناس مذنبون ومدانون، فلا بد

أن هذه "الإرادة – الحرة" المزعومة تعجز عن أن تُحضرهم للإيمان بالمسيح. إذًا فإرادتهم ليست حرة في نهاية المطاف.

الجدال الثاني: السيادة العامة للخطية تبرهن على أن "الإرادة الحرة" زائفة.

لندع بولس يوضح لنا تعليمه، ففي رو ٩:٣ يقول: "فماذا إذًا، أنحن (اليهود) أفضل (من الأمم)؟ كلا البتة. لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية". إن كل الناس بدون استثناء مجرمون في نظر الله. ليس هذا فقط، بل هم عبيد الخطية التي تجعلهم مجرمين، وهذا يشمل اليهود الذين اعتقدوا أنهم لم يكونوا عبيدا للخطية، لأن عندهم ناموس الله. حيث أن كلا من اليهود والأمم لم يستطيعوا أن يتخلصوا من هذه العبودية، فواضح أن ليس لدى الإنسان قوة تساعده أن يعمل الصالح.

هذه العبودية العامة للخطية تشمل أولئك الذين يظهرون أنهم الأفضل والأكثر استقامة، فلا يهم مدى الصلاح الذي قد يحققه الناس طبيعيا، فهذا لا يتساوى مع معرفة الله. إن أفضل ما في الناس هو ذهنهم وإرادتهم، لكن يجب الاعتراف بأن هذا الجانب المميَّز هو فاسد، فيقول بولس في رو ١٠:٣-١٢، "كما هو مكتوب أنه ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معا. ليس من يعمل صلاحًا ليس ولا واحد". إن معنى هذه الكلمات واضح تماما، فبالذهن والإرادة يُعرف الله، غير أنه لا أحد يعرف الله بالطبيعة، لذلك يجب أن نستنتج أن إرادة الإنسان فاسدة وأن الإنسان عاجز تماما أن يعرف الله بنفسه أو يُرضي الله بنفسه. ربما يقول أحد الممتازين ***إننا نستطيع أن نعمل أكثر مما ننجزه فعليا، لكننا مهتمون بما يمكن أن نعمله لا بما قد نفعله أو لا نفعله فعليا.*** إن النصوص التي اقتبسها بولس في رو ١٠:٣-١٢، لا تسمح بأن نعمل هذا التمييز، فالله يدين العجز الخاطئ في الناس، تماما كدينونته لأعمالهم الفاسدة، فلو أنه باستطاعة الناس، أن يحاولوا التحرك بأقل

درجة في اتجاه الله، لما كانت هناك حاجة أن يخلصهم الله. كان سيسمح لهم أن يخلِّصوا أنفسهم، لكن لا يستطيع أحد حتى مجرد أن يحاول ذلك.

في رو ١٩:٣، يعلن بولس أن كل فم يجب أن يستدَّ، لأن لا أحد يمكن أن يجادل ضد دينونة الله له؛ لأنه لا يوجد شيء في أي واحد يمكن أن يمدحه الله – ولا حتى الإرادة التي لها الحرية أن تردَّه إلى الله. إذا قال أحد: ***"أنا عندي قدرة ضئيلة في ذاتي لأرجع إلى الله"***، فلا بد أن هذا يعني أنه يعتقد أن هناك شيئًا فيه يستوجب مدح الله لا دينونته، وبذلك يكون فمه ليس مستدًّا! لكن هذا يناقض المكتوب. لقد قال الله إن كل الأفواه يجب أن تُسد، ليس فقط مجموعات معينة من الناس الذين هم مذنبون أمام الله، فليس الفريسيون فقط من بين اليهود هم المدانون. لو كان هذا هو الحال، لكان لباقي اليهود قوة في ذواتهم ليحفظوا الناموس ويتحاشوا أن يكونوا مذنبين، لكن حتى أفضل الناس مدانون بسبب شرورهم. إنهم موتى روحيا، مثلهم مثل أولئك الذين لم يحاولوا أن يحفظوا الناموس على الإطلاق. كل الناس أشرار ومذنبون يستحقون عقاب الله. كل هذه الأمور واضحة فلا يستطيع أحد أن يَنْبِس ببنت شفة ضدها.

الجدال الثالث: "الإرادة الحرة" لا يمكن أن تَلقَى قبولا من الله بواسطة حفظ الناموس الأخلاقي والطقوس الدينية.

أنا أجادل بأن بولس عندما يقول "لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه" أنه يقصد الناموس الأخلاقي (الوصايا العشر) وكذلك الناموس الطقسي. لقد انتشرت فكرة أن ***بولس يعني فقط الناموس الطقسي – طقس القرابين الحيوانية والعبادة في الهيكل***، والغريب أن الناس أطلقوا على جيروم، مخترع هذه الفكرة، بأنه ***قديس***، لكني أسمّيه شيئا آخر! لقد قال جيروم إن ***موت المسيح وضع نهاية لإمكانية التبرير (أن يُعلن أنه بار) بحفظ الناموس الطقسي، لكنه ترك المجال مفتوحا أمام إمكانية التبرير***

بحفظ الناموس الأخلاقي بقوتنا الذاتية بدون معونة الله. وردّي على هذا هو أنه لو أن بولس كان يعني فقط الناموس الطقسي، فإن جداله يكون بلا معنى، فبولس يؤكد أن كل الناس أشرار وفي حاجة إلى نعمة خاصة من الله – محبة الله وحكمته وقوته التي بها يخلصنا. إن مفاد فكرة جيروم أن ***نعمة الله ضرورية لتخلصنا من الناموس الطقسي وليس من الناموس الأخلاقي،*** لكننا لا نستطيع أن نُبعد الناموس الأخلاقي عن النعمة، فبإمكانك أن تخيف الناس ليحفظوا الطقوس، لكن لا توجد قوة بشرية يمكنها أن تُجبر الناس على حفظ الناموس الأخلاقي.

فحجة بولس هي أننا لا يمكن أن نتبرر أمام الله بمحاولة حفظ الناموس الأخلاقي أو الناموس الطقسي؛ فالأكل والشرب وغيرها من هذه الأشياء لا تستطيع في ذاتها أن تبررنا أو تديننا.

سأذهب أبعد من ذلك وأقول إن بولس يقصد أن الناموس بجملته، وليس جزءٌ بعينه منه، مُلزِمًا للناس، فلو أن الناموس لم يعُد مُلزِمًا للناس لأن المسيح مات، لكان كل ما يَلزَم أن يقوله بولس هو ذلك وليس أكثر. لقد كتب بولس في غل ٣:١٠، "لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب: ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به". في هذا النص يستدعي بولس تأييدًا من موسى، بأن الناموس مُلزِم لكل الناس، وأن الفشل في طاعة الناموس يضع الناس جميعا تحت لعنة الله.

الواقع أنه لا الذين يحاولون أن يحفظوا الناموس ولا الذين لا يحاولون أن يحفظوه متبررون أمام الله؛ لأنهم جميعا أموات روحيًّا. إن تعليم بولس يقسم الناس إلى قسميْن – أولئك الروحيين وأولئك غير الروحيين (انظر رو ٣:٢١ ، ٢٨)، وهذا التعليم متناغم مع تعليم يسوع المسيح في يو ٣:٦، "المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح

هو روح"، فالناموس بلا قيمة لأولئك الذين ليس لهم الروح القدس، فمهما حاولوا أن يحفظوا الناموس لن يتبرروا إلا بإيمان روحي.

أخيرا لو وُجد ما يسمى بـ "الإرادة الحرة"، لا بد أن تكون ***أسمى شيء في الإنسان، حيث أنها تُعين الإنسان على حفظ الناموس كله بدون الروح القدس،*** لكن بولس يقول إن أولئك الذين هم من أعمال الناموس غير مُبرَّرين. هذا يعني أن "الإرادة الحرة" في أحسن حالتها تعجز عن أن تصحح العلاقة بين الناس والله. الواقع أن بولس يقول في رو ٣:٢٠ إن الناموس ضروري ليُرينا ما هي الخطية، "لأن بالناموس معرفة الخطية". إن أولئك الذين من أعمال الناموس لا يدركون حقيقة الخطية. لم يُعطَ الناموس ليُري الناس ما يمكن أن يعملوا، بل ليُصحح أفكارهم عما هو صواب وما هو خطأ في نظر الله. إن "الإرادة الحرة" عمياء لأنها تحتاج أن تتعلم بالناموس، وهي أيضا عاجزة، لأنها تفشل أن تبرر أي إنسان في نظر الله.

الجدال الرابع: لقد صُمم الناموس ليقود البشر إلى المسيح بإعطائهم معرفة الخطية.

إن الجدال المؤيد "للإرادة الحرة" هو ***أن الناموس ما كان لُيعطَى إن كنا سنعجز عن طاعته.***

يا إرازموس! إنك تكرر القول: ***"إن كنا لا نستطيع أن نعمل شيئا، فما هو الغرض من كل القوانين والوصايا والتهديدات والوعود؟"*** إن الإجابة هي أن الناموس لم يُعطَ ليُرينا ما يمكن أن نعمله، ولا ليساعدنا لنعمل ما هو صواب. يقول بولس في رو ٣:٢٠، "بالناموس معرفة الخطية". إن الغرض من الناموس هو أن يرينا ماهية الخطية ونتيجتها – الموت والجحيم وغضب الله. فبإمكان الناموس أن يبيّن فقط هذه الأشياء، لكنه لا يستطيع أن يحررنا منها، فالخلاص يأتي بيسوع المسيح فقط كما أُظهر لنا في الإنجيل، فلا العقل ولا "الإرادة الحرة" يمكن أن تقود الناس إلى المسيح، لأن كلا من العقل

و"الإرادة الحرة" يحتاجان نور الناموس ليريهما ما فيهما من داء؛ لذلك يسأل بولس السؤال في غل ٣:١٩، "فلماذا الناموس؟" لكن إجابة بولس على سؤاله هي عكس ما تقوله يا إرازموس أنت وجيروم. فأنت تقول ***إن الناموس قد أُعطِيَ ليبرهن على وجود "الإرادة الحرة"***، وجيروم يقول ***إنه ليمنع الخطية***، لكن بولس لا يقول شيئا من هذا. كل ما يقوله هو إن الناس بحاجة إلى نعمة خاصة ليحاربوا الشر الذي يكشفه الناموس، فلا يوجد علاج إلا بعد تشخيص الداء. فالناموس ضروري ليُري الناس حالتهم الخطيرة، وبالتالي يتوقون إلى العلاج الذي لا يوجد إلا في المسيح، وهكذا تبدو كلمات بولس في رو ٣:٢٠، بسيطة جدا لكنها قوية بالدرجة التي تجعل "الإرادة الحرة" في حيِّز العدم. في رو٧:٧ يقول بولس: "فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشتهِ". هذا يعني أن "الإرادة الحرة" لا تستطيع حتى أن تعرف ما هي الخطية! فكيف لها إذن أن تعرف ما هو صواب؟ وإن كانت لا تعرف ما هو صواب، فكيف لها أن تجاهد لتفعل ما هو حق؟

الجدال الخامس: إن عقيدة الخلاص بالإيمان بالمسيح تبرهن على زيف "الإرادة الحرة".

في رو ٣:٢١ – ٢٥، يعلن بولس بكل ثقة قائلا: "وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس، مشهودا له من الناموس والأنبياء. بر الله بالإيمان بيسوع المسيح، إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون، لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله متبررين مجانا بنعمته، بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه كفارة بالإيمان بدمه". هذه الكلمات تمثل وقع الصاعقة على "الإرادة الحرة". إن بولس يفرّق بين البر الذي يعطيه الله، وبين البر الذي يأتي من حفظ الناموس. كان يمكن "للإرادة الحرة" أن تزدهر لو أمكن للإنسان أن يخلُص بحفظ الناموس، لكن بولس يُثبت بوضوح أننا نخلص بدون أن نعتمد بأي شكل من الأشكال على أعمال الناموس. مهما كان ما يمكن أن نتخيَّله عن إمكانية "الإرادة الحرة" المزعومة أن تعمل أعمالا صالحة، يظل بولس متمسكا

بالقول إن البر الذي يعطيه الله شيء مختلف تماما. إنه ليس بإمكان "الإرادة الحرة" أن تصمد في مواجهة دحض مثل هذه الأعداد الكتابية المقدسة.

هذه الأعداد أيضًا تفجِّر صاعقة أخرى ضد "الإرادة الحرة"، ففي هذه الأعداد يرسم بولس خطًّا بين المؤمنين وغير المؤمنين (رو ٣:٢٢). لا أحد ينكر أن القوة المزعومة "للإرادة الحرة" تختلف تماما عن الإيمان بيسوع المسيح، ويقول بولس إنه بدون الإيمان بالمسيح، لا شيء يمكن أن يكون مقبولا من الله، وإن كان شيء ما غير مقبول من الله، فلا يكون إلا خطية. لا يمكن أن يكون شيئا محايدا. إذًا "فالإرادة الحرة" إن وُجدت هي خطية، لأنها تتعارض مع الإيمان ولا تعطي المجد لله.

صاعقة أخرى نجدها في رو ٣:٢٣، فلا يقول بولس إن الجميع أخطأوا باستثناء أولئك الذين يعملون أعمالا صالحة بواسطة "إرادتهم الحرة"، فلا توجد استثناءات. لو كان ممكنا أن نجعل أنفسنا مرضيين أمام الله عن طريق "الإرادة الحرة"، لكان بولس كاذبا. كان يجب عليه أن يفسح مجالاً لبعض الاستثناءات، لكنه يقرر بكل وضوح أنه بسبب الخطية، لا يستطيع أحد أن يرضي الله بإخلاص ويمجده. سَلْ أولئك الذين يجادلون من أجل "الإرادة الحرة" إن كان فيهم شيء يرضي الله. يجب أن يعترفوا أنه لا شيء. ويقولها بولس بوضوح، لا شيء.

حتى أولئك الذين يؤمنون "بالإرادة الحرة" يجب أن يتفقوا معي على أنهم لا يستطيعون أن يرضوا الله بقوّتهم الذاتية، حتى "بإرادتهم الحرة" يشكّون في إمكانية إرضائهم لله، لذلك فأنا أبرهن من شهادة ضميرهم أن "الإرادة الحرة" لا تُرضي الله، إذ أنها بكل قواها ومجهوداتها، جُرمها خطية عدم الإيمان، لذلك فواضح أن عقيدة الخلاص بالإيمان، مضادة لأي فكرة عن "الإرادة الحرة".

الجدال السادس: ليس هناك مجال لفكرة الاستحقاق أو المكافأة.

إن الذين ينادون "بالإرادة الحرة" يقولون: ***لو أنه لا توجد "إرادة حرة"، إذًا فلا مجال للاستحقاق أو المكافأة،*** فماذا سيقول داعمو "الإرادة الحرة" عن كلمة "مجانا" في رو ٣:٢٤؟ إذ يقول بولس إن المؤمنين "متبررين مجانا بنعمته". وماذا يفعلون في كلمة "بنعمته"؟ فإن كان الخلاص مجانا ويُعطَى بالنعمة، فلا يمكن أن يُجنَى أو يؤخذ كاستحقاق، ومع ذلك يجادل إرازموس بأنه ***يجب أن يفعل الإنسان شيئًا ليجني خلاصه، وإلا فلن يستحق أن يخلص.*** إنه يظن أن ***السبب في أن الله يبرر شخصا دون الآخر، هو أن أحدهما استخدم "إرادته الحرة" وحاول أن يكون بارًا، أما الثاني فلم يفعل.*** هذا يجعل الله يحابي الأشخاص، بينما الكتاب المقدس لا يقول ذلك عن الله (أع ١٠:٣٤). إن إرازموس، وآخرين مثله، يقولون ***إن الناس يمكنهم أن يستفيدوا قليلا من "إرادتهم الحرة" ليحصلوا على الخلاص،*** ويقولون ***إن "الإرادة الحرة" لها ميزة قليلة – إنها لا تستحق الكثير،*** لكنهم ما زالوا يظنون أن ***"الإرادة الحرة" تمكّن بعض الناس أن يحاولوا أن يجدوا الله،*** كما أنهم ما زالوا يعتقدون أنه ***إذا لم يحاول الناس أن يجدوا الله، ولم يحصلوا على النعمة، فسيكون ذلك خطأهم. إذًا إن كان "للإرادة الحرة" ميزة كبيرة أو صغيرة فالنتيجة واحدة، حيث يمكن أن تُجنى بها نعمة الله.*** لكن بولس ينكر كل ميزة عندما يقول: متبررين "مجانا". إن الذين يقولون ***إن "للإرادة الحرة" ميزة قليلة،*** مثلهم مثل الذين يقولون ***إن لها ميزة كبيرة،*** فكلاهما سيِّئ وكلاهما يعلِّمان بأن ***"للإرادة الحرة" ميزة تكفي لضمان رضى الله،*** فلا يوجد فرق في الواقع بين هؤلاء وأولئك.

الواقع أن مؤيدي فكرة "الإرادة الحرة" أعطونا مثالا كاملا لـ "قفز من المقلاة إلى النار"، أي الخروج من السيِّئ إلى الأسوأ، فبكلامهم أن ***"للإرادة الحرة" ميزة قليلة*** يجعلون موقفهم أكثر سوءًا. إن الذين يتحدثون عن ***ميزة عظيمة*** (يُطلَق عليهم "البلاجيين Pelagians") أقل ما يمكن أن يُقال عنهم إنهم يضعون قيمة عالية لنعمة الله لأنه

يلزم ميزة عظيمة للحصول على الخلاص، أما إرازموس فإنه يخفض من قيمة النعمة، ***إذ يمكن الحصول عليها (حسب قوله) بمجهود بسيط.*** لكن بولس حجَّم كلتا الفكرتين بهذه الكلمة الواحدة "مجانا" في رو٣:٢٤، بعد ذلك في رو ١١:٦، إذ يقول إن قبولنا من الله بالنعمة فقط: "فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال؛ وإلا فليست النعمة بعد نعمة".

إن تعليم بولس واضح جدا، فلا توجد في نظر الله ميزة بشرية، سواء كانت هذه الميزة صغيرة أم كبيرة. لا أحد يستحق أن يخلُص. لا أحد يمكن أن يعمل شيئا لكي يخلص، فالرسول يستبعد كل ما يُفترض أنه أعمال "الإرادة الحرة"، ويرسِّخ مبدأ النعمة وحدها. لا يحق أن يُنسب إلينا فضل في خلاصنا، فالخلاص كله بفضل نعمة الله.

الجدال السابع: لا قيمة "للإرادة الحرة" ولا علاقة لها ببر الإنسان أمام الله.

سأتبع الآن جدال بولس في رو ٤:٢-٣، "لأنه إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر، ولكن ليس لدى الله، لأنه ماذا يقول الكتاب؟ فآمن إبراهيم بالله فحُسب له برًّا". وهنا لا ينكر بولس أن إبراهيم كان رجلا بارًّا، والموضوع بأكمله هو أن البر لم يمنحه الخلاص. لا يختلف اثنان على أن الأعمال الشريرة غير مقبولة من الله، فذلك واضح، والجدال هو أنه حتى الأعمال الصالحة لا تجعلنا مقبولين من الله، فالواقع أنها تستحق غضبه لا استحسانه؛ ففي رو ٤:٤-٥ يضع بولس الإنسان الذي يعمل في مقابل الذي لا يعمل. إن البر، وهو قبول الله، لا يُحسب للذي يعمل بل للذي لا يعمل، لكنه يثق في الله. لا يوجد موقف متوسط.

الجدال الثامن: حفنة من الحجج.

لا بد أن أنوّه لبعض الحجج الأُخَر ضد "الإرادة الحرة". سأشير إليها باختصار فقط، مع أن كل واحدة منها يمكنها أن تقضي على فكرة "الإرادة الحرة" قضاء تاما. فعلى سبيل المثال، مصدر النعمة التي نحن بها مخلَّصون هو القصد الأزلي. لا بد أن هذا يستبعد ***افتراض أن الله منعم علينا بسبب شيء يمكن أن نفعله.***

حجة أخرى مبنية على حقيقة أن الله وعد إبراهيم بالخلاص بالنعمة قبل أن يُعطي الناموس. في رو ٤:١٣-١٥ ؛ غل ٣:١٥-٢١، يجادل بولس بأنه لو أننا مخلَّصون بحفظنا الناموس "بالإرادة الحرة"، فلا بد أن هذا يعني أن الوعد بالخلاص بالنعمة قد أُبطل، وبالتالي لا تكون هناك قيمة للإيمان.

كما يخبرنا بولس أن الناموس يمكنه فقط أن يكشف الخطية، لكنه لا يستطيع أن يزيلها، وحيث أن "الإرادة الحرة" لا تستطيع أن تعمل إلا على أساس حفظ الناموس، فلا يمكن الوصول إلى البر المقبول لدى الله عن طريقها.

أخيرا كلنا تحت دينونة الله بسبب جرم عصيان آدم. كلنا نقع تحت هذه الدينونة عند ولادتنا، بما في ذلك الذين لهم "إرادة حرة"، إن وُجد مثل هؤلاء الناس، فما الذي تساعدنا فيه "الإرادة الحرة" سوى أن نخطئ ونجني الدينونة؟

كان بإمكاني أن أترك هذه الحجج وأُقدِّم شرحًا سريعًا عن كتابات بولس، لكني أردت أن أظهر مدى غباء معارضيَّ الذين يفشلون أن يرَوْا هذه الأمور البسيطة بوضوح. إني أتركهم ليفكِّروا مليًّا فيها.

الجدال التاسع: إن بولس واضح تماما في تفنيد "الإرادة الحرة".

إن حجج بولس واضحة جدا، ومن المستغرب أن يسيء أحد فهمها. إنه يقول: "الجميع زاغوا، ليس بار، ليس من يعمل صلاحا، ليس ولا واحد". والعجيب أن بعض الناس يقولون: ***"البعض لم يزوغوا، وليسوا أشرارًا ولا أئمة ولا خطاة؛ فهناك شيء في الإنسان يجعله يسعى نحو الصلاح"***، لكن بولس لا يضع هذه الحقائق في فقرات قليلة معزولة، لكنه أحيانا يضعها إيجابية وأحيانا أخرى يجعلها سلبية، بتصريحات واضحة وكذلك بالتضاد. إن المعاني الواضحة لكلماته، مع القرينة العامة والإطار الكلي لبرهانه، تتحد جميعا في أنه: بدون الإيمان بالمسيح لا يوجد إلا الخطية والدينونة. إن معارضيَّ مهزومون حتى إذا لم يستسلموا! لكن هذا ليس بقوَّتي، بل يجب أن أدع هذا لعمل الروح القدس.

الجدال العاشر: إن حالة الإنسان بدون الروح القدس توضح أن "الإرادة الحرة" لا تستطيع عمل شيء روحي.

في رو ٥:٨، يميِّز بولس الرسول بين نوعين من البشر – أولئك الذين هم من الجسد (أو الطبيعة الخاطئة) وأولئك الذين من الروح (انظر أيضًا يو ٦:٣). هذا له معنى واحد فقط، هو أن الذين ليس لهم الروح هم في الجسد ولهم طبيعة خاطئة. وفي رو ٩:٨، يقول الوحي على لسان بولس: "إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له" أي ليس للمسيح، لا ينتمي للمسيح، وهذا معناه بكل وضوح أنه ينتمي للشيطان. لم يستفد من "الإرادة الحرة". ويستطرد بولس بالقول: "فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله" (رو ٨:٨)، وسبق أن قال في رو ٧:٨، "إن اهتمام الجسد هو عداوة لله، إذ ليس هو خاضعا لناموس الله، لأنه أيضًا لا يستطيع". من المستحيل لمثل هؤلاء أن يبذلوا جهدا من ذواتهم ليرضوا الله.

لقد اقترح أحدهم "Origen"***أن الإنسان له نفْس، وهذه النفْس يمكنها أن تتجه للجسد أو للروح،*** وهذا مجرد تخيُّلِهِ هو. لقد حلم بذلك! فلا برهان عنده لهذا على الإطلاق. الواقع أنه لا يوجد موقف متوسط، فكل شيء بدون الروح هو جسدي، وأفضل ما يقدمه الجسد هو عدواة لله.

وهذا هو ما علَّمه يسوع في مت ١٨:٧، أن الشجرة الشريرة لا يمكن أن تصنع أثمارا جيدة. وهذا يتفق أيضًا مع ثنائية بولس: في رو ١٧:١، "أما البار فبالإيمان يحيا"، رو ٢٣:١٤، "وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية".

أولئك الذين بدون إيمان، غير مبرَّرين، وغير المبرَّرين هم خطاة لا تُنتج فيهم "حرية الإرادة" المزعومة إلا كل شر. إذن فالإرادة الحرة ما هي إلا عبد للخطية والموت والشيطان. مثل هذه الحرية ليست حرية على الإطلاق.

الجدال الحادي عشر: الذين أقبلوا إلى معرفة المسيح لم يفكِّروا مُسبقًا فيه ولا طلبوه ولا هيأوا أنفسهم له.

يقتبس الرسول بولس في رو ٢٠:١٠، ما جاء في إش ١:٦٥، "أصغيت إلى الذين لم يسألوا عني. وُجدت من الذين لم يطلبوني. قلتُ هأنذا لأمة لم تُسمَّ باسمي". لقد عرف بولس من واقع اختباره أنه لم يطلب نعمة الله، لكنه قَبلها برغم من حنقه الحاد ضدها، فيقول في رو ٣٠:٩–٣١، إن اليهود الذين بذلوا مجهودات عظيمة ليحفظوا الناموس، لم يخلصوا بهذه المجهودات، أما الأمم وهم أشرار تماما، نالوا رحمة الله. هذا يوضح بكل جلاء أن كل مجهودات "حرية الإرادة" البشرية لا تجدي في خلاص الإنسان. إن غيرة اليهود لم توصِّلهم إلى شيء، بينما الأمم الأشرار نالوا الخلاص.

إن النعمة تُعطَى مجانا لمن لا يستحقونها، ولا تُغتَنم بأي من المجهودات، التي يحاول الناس أن يقدموا منها الأفضل والأكثر استقامة.

الجدال الثاني عشر: إن الخلاص لعالَم خاطئ هو بنعمة المسيح عن طريق الإيمان به وحده.

دعونا نتجه الآن إلى يوحنا الذي يكتب ببلاغة ضد "الإرادة الحرة"، ففي يو ١:٥ يقول: "والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه (بمعنى لم تفهمه أو لم تتغلب عليه)"، وفي يو ١:١٠-١١، "كان في العالم وكوّن العالم به ولم يعرفه العالم. إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله". باستخدام يوحنا لكلمة العالم قصد كل الجنس البشري، وحيث أن "الإرادة الحرة" لا بد وأن تكون أفضل ما في الإنسان، فلا بد أن يشملها ما يقوله يوحنا عن "العالم". من هذيْن النَّصيْن يتضح أن "الإرادة الحرة" لا تعرف نور الحق بل تكره المسيح وشعبه. وهناك نصوص أُخَر كثيرة تصَرِّح بأن "العالم" (وهذا يشمل "الإرادة الحرة" بصفة خاصة) تحت سيطرة الشيطان.

إن كلمة "العالم" تشمل كل ما لم ينعزل ليلتصق بالرب بواسطة الروح القدس. إذن لو كان هناك شخص عرف الحق "بالإرادة الحرة"، ولم يكره المسيح "بالإرادة الحرة"، لكان يوحنا قد غيَّر ما كتبه، لكنه لم يفعل ذلك. من الواضح إذن أن "الإرادة الحرة"، بنفس جُرم "العالم". وفي يو ١:١٢-١٣، يستكمل الوحي الحديث بالقول: "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله ... الذين وُلدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله". "ليس من دم" تعني أنه لا طائل من الاتكال على مكان ولادتك ولا على عائلتك، أما "ليس من مشيئة جسد" فتعني أنه من الحماقة أن تتكل على أعمال الناموس، أما القول "ولا من مشيئة رجل" فتعني أنه لا توجد مجهودات يمكنها أن تجعل الإنسان مقبولا من الله، فلو كان "للإرادة الحرة" أي فائدة لما كان على يوحنا أن يستبعد النسب البشري، وإلا كان في مأزق من إش ٥:٢٠، "ويل للقائلين للشر خيرا وللخير شرًّا". لا يوجد أدنى شك أن الولادة الطبيعية لا دور

لها في الخلاص، إذ يكتب بولس في رو ٨:٩ ما يلي: "ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يُحسَبون نسلا". ويقول يوحنا أيضًا: "ومن ملئه نحن جميعا أخذنا ونعمة فوق نعمة" (يوحنا ١٦:١). إذن فنحن ننال البركات الروحية بالنعمة وليس بمجهوداتنا الذاتية. هناك شيئان متضادان لا يمكن أن يكون كلاهما صحيح: أن النعمة رخيصة جدا يمكن لأي واحد في أي مكان أن يجتنيها، وفي نفس الوقت النعمة عزيزة جدا حتى أننا لا ننالها إلا من خلال استحقاق إنسان واحد هو يسوع المسيح.

أتمنى أن يتحقق معارضيَّ أنهم عندما يجادلون من أجل "الإرادة الحرة" فهُم ينكرون المسيح، فإن كان بالإمكان أن نحصل على النعمة "بالإرادة الحرة" فنحن لسنا بحاجة للمسيح، وإن كان لنا المسيح فلا حاجة بنا "للإرادة الحرة". إن مؤيدي "الإرادة الحرة" يبرهنون على إنكارهم للمسيح من خلال أفعالهم، فهم يلجؤون إلى شفاعة العذراء مريم والقديسين، ويفشلون في الاتكال على المسيح كالوسيط الوحيد بين الله والناس. إنهم يتخلَّوْن عن المسيح في عمله كوسيط وكأرحم مخلِّص، ويعتبرون استحقاق المسيح أقل قيمة من مجهوداتهم الذاتية.

الجدال الثالث عشر: إن ما جرى لنيقوديموس في يوحنا ٣ يتعارض مع "الإرادة الحرة".

انظروا إلى فضائل نيقوديوس (يو٣:١-٢)، إنه يعترف بالمسيح بأنه صادق وأنه قد أتى من الله. إنه يعتمد في ذلك على معجزات المسيح. إنه بحث عن المسيح ليسمع المزيد منه، لكن عندما سمع عن الولادة الجديدة (يو ٣:٣-٨) هل أَقر بأن ذلك هو ما كان يبحث عنه سابقًا؟ كلا! لقد دُهش وتحيَّر وتحوَّل عنها بعيدا في البداية على أنها مستحيلة (يو ٩:٣). حتى أعظم الفلاسفة، عليهم أن يعترفوا أنهم لم يعرفوا شيئا عن المسيح، وبالتالي لم يبحثوا عن الأمور المتعلقة بالخلاص. عندما يعترفون بذلك، فإنهم

يعترفون بأن "إرادتهم الحرة" جهل وضعف. من المؤكد أن الذين يعلِّمون "بالإرادة الحرة" هم مجانين ولن يكفُّوا عن ذلك ليعطوا المجد لله.

الجدال الرابع عشر: "الإرادة الحرة" لا قيمة لها لأن الخلاص بالمسيح وحده.

واضح من قوْل المسيح في يو ٦:١٤، بأنه الطريق والحق والحياة، أن الخلاص لا يمكن أن يوجد إلا في يسوع المسيح. من ذلك يتضح أن كل شيء بعيدًا عن المسيح، لا يعدو كونه ظلمة وزيف وموت، وإن كان في استطاعة الناس أن يفهموا بالطبيعة الطريق إلى الله ويعرفوا حق الله ويشتركوا في حياة الله، فما الحاجة لأن يأتي المسيح لعالمنا هذا؟

يقول معارضونا ***إن الناس السيِّئين عندهم "إرادة حرة" حتى وإن كانوا يسيئون استخدامها. فإن كان الأمر كذلك، فلا بد أن يكون هناك شيء صالح في أشر الناس، وإن كان الأمر كذلك فلا يكون الله عادلا إذا أدانهم،*** لكن يوحنا يقول إن الذي لا يؤمن بيسوع المسيح قد دين (يو٣:١٨)، فلو امتلك الناس ذلك الشيء الصالح المسمَّى "إرادة حرة" لكان على يوحنا أن يقول إنهم يدانون فقط بسبب الجزء السيِّئ وليس بسبب هذا الجزء الصالح فيهم، لكن في يو ٣:٣٦ مكتوب: "الذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله". هذا يعني بالضرورة الإنسان بأكمله، أما لو كان الأمر غير ذلك لتحتم أن يكون هناك جزء في الإنسان يمنعه من إن يُدان، وفي الوقت نفسه يستمر في الخطية دون أي مخاوف، بل يكون في أمان بمعرفة أنه لا يمكن أن يُدان.

ونقرأ أيضًا في يو ٣:٢٧، "لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئا إن لم يكن قد أُعطي من السماء"، ويقصد بهذا بصفة خاصة قدرة الإنسان أن يعمل إرادة الله. لا يقدر أن يُعِين الإنسان على عمل إرادة الله إلا ما يأتي من فوق، أما "الإرادة الحرة" فلا تأتي من فوق، مما يعني أنها بلا فائدة.

في يوحنا ٣١:٣ مكتوب: "الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع، والذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلم. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع". لا شك أن "الإرادة الحرة" ليس لها أصل سماوي، إنها من الأرض وليس هناك احتمال آخر، وهذا يعني أنه لا علاقة "للإرادة الحرة" بالأمور السماوية، ولكنها ترتبط فقط بالأمور الأرضية. لقد قال المسيح في يو ٢٣:٨، "أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم". لو كان معنى هذا التصريح أن أجسادهم فقط من هذا العالم، لما كانت هناك ضرورة لهذا التصريح، لأنهم كانوا يعرفون ذلك، لكن المسيح يعني أنهم يفتقرون تماما لأي قوة روحية، وهذه لا تأتي إلا من الله.

الجدال الخامس عشر:يعجز الإنسان أن يؤمن بالإنجيل، لذلك لا تستطيع كل مجهوداته أن تخلصه.

في يو ٤٤:٦، يقول المسيح "لا يقدر أحد أن يُقبل إليَّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني"، وهذا لا يترك أي فرصة "للإرادة الحرة". ويواصل الرب كلامه ليشرح اجتذاب الآب فيقول: "فكل من سمع من الآب وتعلَّم، يُقبل إليَّ" (يو ٤٥:٦). إن إرادة الإنسان مجرَّدة لا تستطيع أن تفعل شيئًا لقبول المسيح للخلاص. حتى كلمة البشارة نفسها، فإن سماعها يكون غير مُجدٍ إذا لم يتحدث الآب إلى القلب ويجتذبنا إلى المسيح. إن إرازموس يريد أن يَحُط من قيمة المعنى الواضح لهذا النص بأن يشبِّه الناس بالخراف التي تستجيب للراعي عندما يقدم لها غُصنًا، ويجادل بأن ***هناك شيئا ما في الناس يستجيب للبشارة.*** لكن هذا لن يقوم بهذا الدور، لأنه حتى لو أظهر الله عطية ابنه لأناس أشرار، فلن يستجيبوا ما لم يعمل الله في قلوبهم. الواقع أنه بدون عمل الآب في القلب، ستكون النتيجة أن يضطهد الناس الابن عِوض أن يتبعوه، لكن عندما يُظهر

الآب حلاوة ابنه لأولئك الذين أعطاهم فهمًا، عندئذ ينجذبون إليه. هؤلاء هم خراف ويعرفون صوت الراعي!

الجدال السادس عشر: عدم الإيمان العام يبرهن على زيف "الإرادة الحرة".

يقول المسيح إن الروح القدس "يبكت العالم على خطية" (يوحنا ٨:١٦)، وفي عدد ٩ يفسر أن الخطية هي أن "الناس لا يؤمنون بي"، وخطية عدم الإيمان هذه ليست في الجِلد ولا في الشَّعر، بل في العقل والإرادة. إن كل الناس بدون استثناء يجهلون حقيقة جُرم عدم إيمانهم بنفس درجة جهلهم بالمسيح نفسه. إن خطية عدم الإيمان تحتاج أن يكشفها الروح القدس لهم، وهكذا نرى أن كل ما في الإنسان – بما في ذلك "الإرادة الحرة" – يستحق دينونة الله ولا يؤدي إلى شيء سوى أن يضيف إلى الجُرم الذي يجهله، إلى أن يكشفه الله له. إن الكتاب المقدس بجملته يُعلن المسيح كالطريق الوحيد للخلاص. كل من هم ليسوا في المسيح، هم تحت سلطان الشيطان والخطية والموت وغضب الله، ولا يستطيع أن ينقذ الناس من مملكة الشيطان إلا المسيح. نحن لا ننجو بأية قوة داخلنا، بل بنعمة الله فقط.

الجدال السابع عشر: قوة جسد الخطية في المؤمنين الحقيقيين يدحض "الإرادة الحرة".

هناك ثمة ما يجعلك تتجاهل براهيني المأخوذة من رو ٧ ، غل ٥. هذان الأصحاحان يوضحان لنا أن قوة "الجسد" حتى في المؤمنين المسيحيين الحقيقيين، تجعلهم لا يستطيعون أن يفعلوا ما يعرفون أنه لا بد أن يفعلوه ويريدون أن يفعلوه. إن الطبيعة البشرية سيئة، حتى في الناس الذين لهم الروح القدس في داخلهم، إذ أنهم لا يفشلون في أن يعملوا ما هو صالح فحسب، بل أيضًا يقاومونه. فإن كان الأمر كذلك كيف

يمكن أن توجد قوة، في غير المولودين ثانية، تجعلهم يفعلون الصلاح؟ وكما قالها بولس في رو ٧:٨، "لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله"، لذلك أود أن ألتقي بالإنسان الذي يستطيع أن يدحض هذه الحجة!

الجدال الثامن عشر: معرفة أن الخلاص لا يعتمد على "الإرادة الحرة" يمكن أن تكون مشجِّعة جدًّا.

هنا لا بد أن أعترف بأني لا أريد "الإرادة الحرة" حتى لو كانت قد أُعطيت لي، لأنه لو تُرك أمر خلاصي لي، ما كنت أستطيع أن أواجه كل المخاطر والصعوبات والشياطين التي يستوجب عليَّ أن أحاربها؛ وحتى لو لم يكن هناك أعداء لأحاربهم، فإن نجاحي لن يكون مؤكدًا. لن أكون واثقا إن كنتُ قد أرضيتُ الله، أو أن هناك شيئا أكثر، عليَّ أن أفعله. ويمكنني أن أبرهن على ذلك من تجاربي المؤلمة على مدى سنين كثيرة، لكن خلاصي هو في يدِ الله وليس في يدِي. إنه سيكون وفيًّا لوعده بخلاصي، ليس على أساس ما أفعل، بل بحسب رحمته العظيمة. إن الله لا يكذب ولن يدع الشيطان، عدوِّي اللدود، يخطفني من يديه. "بالإرادة الحرة" لا يمكن أن يخلص أحد، لكن بالنعمة المجانية سيخلص كثيرون. ليس هذا فقط، لكني سعيد بأن أعرف أني كمؤمن، أرضي الله ليس بسبب ما أفعل، لكن بسبب نعمته. فإذا اشتغلت قليلا جدا أو بطريقة سيئة جدا، فإنه بنعمته يغفر لي ويجعلني أفضل. هذا هو مجد كل المؤمنين.

الجدال التاسع عشر: إن نزاهة الله لا يمكن أن تُلطَّخ.

ما سبق ذكره قد يُقلقك من حيث إمكانية الدفاع عن إجلال الله في هذه كلها، وبالرغم من ذلك فقد تقول: ***"إنه يدين أولئك الذين ليس بوسعهم إلا أن يكونوا خطاة، أولئك المُجْبَرون أن يظلوا هكذا، لأن الله لا يرغب أن يخلصهم"، وبحسب قول بولس في***

أف ٢ :٣،: "وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضًا". لكن يجب أن تنظر للأمر بطريقة أخرى، فالله لا بد أن يُوقَّر ويُحترم كالإله الرحيم لكل الذين يبررهم ويخلصهم، مع أنهم غير مستحقين على الإطلاق. نحن نعلم أن الله صالح جدا وهو أيضا حكيم وعادل، لكن عدله ليس كالعدل البشري، فهو أسمى من استيعابنا البشري، كما عبَّر عن ذلك بولس في رو ٣٣:١١، "يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء!" إن كنا نتفق على أن طبيعة الله وقوّته وحكمته وعلمه هي أعلى مما لنا، فلا بد أن نؤمن بأن عدله أعظم وأفضل من عدلنا. لقد وعدنا أنه عندما يُعلن مجده لنا، سنرى بوضوح ما يجب أن نؤمن به الآن – بأنه كان وسيظل عادلا دائما.

خذ مثالا آخر. إذا استخدمت العقل البشري لتفكر في الأسلوب الذي يحكم به الله شؤون العالم، فإنك ستُجبَر على القول بأنه ***لا يوجد إله، أو أن الله غير عادل، فالأشرار يتنعَّمون والصالحون يعانون*** (انظر أي ٦:١٢ ؛ مز ١٢:٧٣) ***وهذا يبدو ظلما؛*** لذلك فالكثيرون ينكرون وجود الله ويقولون ***إن كل ما يحدث يحدث بالصدفة البحتة.*** الإجابة على هذه المشكلة أنه توجد حياة بعد هذه الحياة، وكل من لم يعاقَبوا هنا سيعاقَبون هناك، وكل ما لم يُسدَّد هنا سوف يسدَّد هناك. إن الحياة لا تعدو كونها إعدادًا أو بالأحرى بداية للحياة الآتية. هذه المشكلة نوقشت في كل عصر ولم تُحل إلا بالإيمان بالبشارة (الإنجيل) كما هي في الكتاب المقدس، فهناك ثلاثة أضواء تتسلط على المشكلة: ضوء الطبيعة وضوء النعمة وضوء المجد. بضوء الطبيعة يبدو الله كأنه غير عادل لأن الصالحين يعانون والأشرار يتنعمون، أما ضوء النعمة فيساعدنا أكثر لكنه لا يفسر كيف يمكن أن يدين الله إنسانا ليس في استطاعته أن يفعل شيئا إلا أن يخطئ ويكون مجرما. إنه ضوء المجد فقط الذي سيفسر ذلك في ذلك اليوم الآتي، عندما يُعلن الله نفسه كالإله كلِّيّ العدل، وإن كان قضاؤه أعلى من فهم البشر. إن الإنسان

التقي يؤمن أن الله سبق فعرف وسبق فعيَّن كل الأشياء ولا يمكن لشيء أن يحدث إلا بإرادته. من ذلك يتضح أنه لا إنسان ولا ملاك ولا أي مخلوق آخر يملك "إرادة حرة". إن الشيطان هو رئيس هذا العالم ويمسك بكل الناس أسرى، إذا لم يتحرروا بقوة الروح القدس.

الفصل الثاني

ما علَّمه إرازموس

صفحة

الجدال الأول	:	تعريف إرازموس "للإرادة الحرة".	٣٥
الجدال الثاني	:	حجة إرازموس من أحد كتب الأبوكريفا.	٣٧
الجدال الثالث	:	وجهات نظر إرازموس الثلاثة عن "الإرادة الحرة".	٣٧
الجدال الرابع	:	العودة إلى حجة إرزاموس من سفر يشوع بن سيراخ ١٤:١٥ – ١٨.	٣٩
الجدال الخامس	:	فحص أعمق لاستخدام إرازموس سفر يشوع بن سيراخ ١٤:١٥–١٨.	٣٩
الجدال السادس	:	حُجج إرازموس لا بد أن تعني أن إرادة الإنسان حرة تماما.	٤٠
الجدال السابع	:	تك ٧:٤، نص آخر لإثبات أن الوصية لا تعني القدرة على الطاعة.	٤١
الجدال الثامن	:	تث ١٩:٣٠، لقد صُمم الناموس ليؤدي إلى معرفة الخطية.	٤١
الجدال التاسع	:	إلتباس إرازموس بين الناموس والإنجيل.	٤٣
الجدال العاشر	:	إرادة الله المُعلَنة وإرادته السِرّية.	٤٥
الجدال الحادي عشر	:	الإلزام ليس دليلا على القدرة على الطاعة.	٤٦
الجدال الثاني عشر	:	يجب ألا يبحث الإنسان عن إرادة الله السرّية.	٤٧

الجدال الثالث عشر : إن الناموس يُظهر ضعف الإنسان كما يُظهر قوة الله المخلِّصة. ٤٨
الجدال الرابع عشر : لقد أُعطيت تعليمات العهد الجديد لإرشاد المبرَّرين. ٤٩
الجدال الخامس عشر : إن أساس الجعالة هو وعد الله وليس استحقاق الإنسان. ٥٠
الجدال السادس عشر : سيادة الله لا تلغي مسؤوليتنا. ٥١

الجدال الأول: تعريف إرازموس "للإرادة الحرة".

لكي أكون مُنْصفًا، عليَّ أن أقتبس تعريفك "للإرادة الحرة". أنت تقول: ***"أنا أفهم "الإرادة الحرة" على أنها قوة في إرادة البشر بها يمكن للإنسان أن يهب نفسه لتلك الأشياء التي تؤدي إلى الخلاص الأبدي أو تبعده عنها".***

لا يمكن أن تسمِّي هذا تعريفًا! فالتعريف يجب أن يكون واضحًا، بينما يلزم تفسير كل جزء من هذا البيان ليكون واضحا؛ كما أنك بدأت تعرِّف شيئا لكنك انتهيت بتعريف شيء آخر مختلف تماما. أنا أعني أن الله وحده هو من له حرية الإرادة التي تصفها، ومع ذلك تعتبرها في الإنسان، لكن الإنسان مثل العبد الذي حريته الوحيدة هي أن يطيع سيده. إن الناس يتصرفون حسب أوامر الله فقط، فهل هذه تُعتبر "حرية الإرادة" كما تصفها أنت؟

والآن عليَّ أن أجَزِّئ، ما أُطلق عليه تعريف. بعض الأجزاء واضحة بدرجة كافية، لكن عليَّ أن أدفع بأجزاء أُخَر إلى النور قبل أن أهاجمها، فيبدو أن هذه الأجزاء تخشى الضوء، كما لو كانت مذنبة في أمر ما!

سأبدأ بافتراض أن "قوة إرادة الإنسان" التي تتحدث عنها، هي قوة لاختيار أو رفض شيء. قوة للموافقة أو عدم الموافقة. هذه في الواقع هي وظيفة إرادة الإنسان. لكنك أضفت بالقول: ***"بها يمكن للإنسان أن يهب نفسه...."***. إنك بذلك تفصل بين الإنسان وإرادته. إنك تعطي الإنسان قوة ليوجِّه إرادته، مع أن إرادة الإنسان جزء من ذاته – الذي يجعله يختار هذه الاختيارات. واضح أنه من غير المعقول أن تفصل الإنسان عن إرادته وتعطيه قوة على إرادته. فإن كنتُ قد أسأتُ فهمك فذلك خطأك بسبب عدم كتابتك بأكثر بساطة.

والآن أتساءل: ما هي الأشياء التي "تؤدي إلى الخلاص الأبدي؟ لا بد أنها أقوال الله وأعماله، فلا يوجد أمر آخر، لكن العقل البشري لا يستطيع أن يستوعب معنى الخلاص، فيقول بولس: "ما لم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه". ثم يستطرد ويوضِّح كيفية معرفتنا لهذه الأشياء: "فأعلنه الله لنا نحن بروحه". وهذا لا بد وأن يعني أنه بدون الروح لا يمكننا أن نعرف هذا الخلاص، وبالتالي لا نقدر أن "نَهَب أنفسنا لهذه الأشياء".

إن بعضا من أشهَر المثقفين الذين عرفهم العالم، اعتبروا ***الأمور الروحية هراء***. الواقع أنه كلما زاد ذكاء العقول، كلما بدت الأمور الروحية تافهة بالنسبة لها. إن الناس يمكنهم أن يعرفوا حقيقة الأمور الروحية عندما ينيرهم الروح القدس.
بعد ذلك أخبرتَنا أن ***"الإرادة الحرة" قوة في إرادة الإنسان يمكنها في ذاتها أن تقرر أن تقبل أو ترفض كلمة الله وعمله.*** هذا يعني أنك تقول ***إن الإرادة البشرية لها القدرة على اختيار السماء أو الجحيم،*** وهذا يعني أنه ***لا مجال للروح القدس أو نعمة الله.*** هذا معناه أنك تساوي الإرادة البشرية بالله.

إن البلاجيين فعلوا نفس الفعل أيضًا، لكنك تفوَّقت عليهم، فهم ميَّزوا جزأين في "الإرادة الحرة"، الأول هو قوة فَهْم الفرق بين الأشياء، والثاني قوة الاختيار بينهما. لكن "الإرادة الحرة" التي تتحدث عنها لها قوة واحدة لاختيار الأمور الأبدية، غير أنها لا تستطيع أن تفهمها على الإطلاق. لقد خَلَقْتَ بذلك "نصف إرادة حرة". كما أنك تناقض نفسك أيضًا لأنك قلتَ مرة ***"إن الإرادة البشرية لا تستطيع أن تعمل شيئًا بدون النعمة"،*** لكنك عندما تكتب تعريفا عن "الإرادة الحرة" فإنك تسمح لإرادة الإنسان بحرية كاملة. إنك غريب حقا!

إني أفضِّل تعاليم بعض الفلاسفة القدماء عن تعليمك، لقد قالوا إن الإنسان الذي يُترك لإرداته سيفعل الخطأ فقط. لا يستطيع الإنسان أن يختار الصلاح إلا بمعونة النعمة.

لقد قالوا ***إن الناس كانت لهم الحرية أن يهبطوا لكنهم احتاجوا المساعدة ليُرفعوا!*** لكن من المضحك أن تسمِّي هذه "إرادة حرة". على هذه الاعتبارات يمكنني أن أقول إن الحجر له "إرادة حرة" لأنه يستطيع فقط أن يهبط لأسفل إلا إذا رفعه أحد! الواقع إن تعاليم الفلاسفة أفضل من تعاليمك. إن الحجر في رأيك يمكنه أن يختار الهبوط والارتفاع!

الجدال الثاني: حجة إرازموس من أحد كتب الأبوكريفا.

إنك تستند في حجتك عن "الإرادة الحرة" إلى ما جاء في سفر يشوع بن سيراخ ١٤:١٥-١٨، "هو وضع الإنسان في البدء وتركه في يد اختياره". لكن السفر يضيف أيضًا الكلمات التالية عن وصايا الله وتعاليمه: "فإن شئت حفظ الوصايا ووفَّيت مرضاته وعرض لك النار والماء فتمد يدك إلى ما شئت. الحياة والموت أمام الإنسان فما أعجبه يُعطَى له".

كان يمكنني أن أرفض هذا النص الذي تستدل به، بالقول إن سفر يشوع بن سيراخ لم يضمه اليهود ضمن العهد القديم، لكن يكفيني أنك نفسك وصفته بأنه ***"غامض ومُبهم"***. إنه يَلْزَمُك – أنت أو سواك – الأبدية بطولها لتكتب فقرة تخبرنا بوضوح ما هي "الإرادة الحرة".

الجدال الثالث: وجهات نظر إرازموس الثلاثة عن "الإرادة الحرة".

لقد ابتدعتَ ثلاث وجهات نظر عن "الإرادة الحرة" من وجهة واحدة. دعنا نفحصها. وجهة النظر الأولى هي ***أن الإنسان لا يريد أن يفعل الصلاح، فهو غير قادر أن يبدأه أو يتقدم فيه أو ينهيه بدون نعمة خاصة.*** وأنت تسمِّي وجهة النظر هذه ***"عسيرة لكنها مُرجَّحة"***. أما وجهة النظر الثانية والتي تعتبرها ***"أكثر عسرا"*** فهي أن ***"الإرادة***

الحرة" لا تؤدي إلا إلى الخطية، لكن النعمة وحدها يمكن أن تقود إلى الصلاح، ثم وجهة النظر الثالثة والتي تقول عنها ***"الأكثر عسرا"*** هي أن ***"الإرادة الحرة" لا تعني شيئا وأن الله هو صانع الصلاح والشر فينا.***

إنك مُهيَّأٌ لقبول وجهة النظر الأولى، لأنها تسمح للإنسان ببعض الجهد ليقوم به. إنك تقول بأنك تعارض وجهتي النظر الأُخريَيْن. يبدو أنك لا تعرف ما الذي تتحدث عنه! إن وجهات النظر الثلاث ليست مختلفة بل هي وجهة نظر واحدة صِيغَتْ بكلمات مختلفة في أوقات مختلفة بواسطة معارضيك. إن تعريفك "للإرادة الحرة" لا علاقة له بوجهة النظر الأولى التي تقول إنها مقبولة، فتعريفك يقول إن ***"الإرادة الحرة" تستطيع اختيار الصلاح بدون معونة نعمة الله.*** إنك بذلك تملك إرادتيْن على خلاف مع بعضهما، فبقبولك لوجهة النظر الأولى، تتفق على أن "الإرادة الحرة" لا تستطيع أن تفعل الصلاح، ومنذ قليل سبق وقلت: ***"الإرادة البشرية شريرة جدا لدرجة أنها فقدت حريتها، وهي مُجْبَرة أن تخدم الخطية ولا تستطيع أن تعود لحالة أفضل".*** وإذا أردتُ أن أقول ما قلتَه أنت بالضبط أقول: "لم يُسمع عن شيء غير معقول بهذه الدرجة". ما تكتبه يعني أن محاولة أن تكون صالحا موجودة في "الإرادة الحرة" وغير موجودة في "الإرادة الحرة" في نفس الوقت، فإذا لم يكن هذا أمرًا غريبًا، ليتك تعرِّفني ماذا يكون!

إن تصريحاتك مناقضة لبعضها، بالدرجة التي لا يمكن التوافق بينها، فلا توجد أرضية مشتركة بين "قادرة أن تفعل الصلاح" وبين "غير قادرة أن تفعل الصلاح".
أما عن وجهتَيْ النظر الثانية والثالثة اللتيْن أوجزتَهما، فلا يوجد فيهما إضافة لِما في الأولى. إن الثلاثة مجتمعة في إجماع تام. أنت تقول إنك ترفض فقط الثانية والثالثة، لكن الثلاثة تذكر بكل وضوح أن الإرادة البشرية فقدت حريتها، إذ أنها مقيَّدة لخدمة الخطية ولا تريد شيئا صالحا. فإذا كان هذا صحيحا، فهو يعني أنه عندما يفعل إنسان الشر، فإنه يفعل ذلك لأنه مُجْبَر عليه، فلا حَوْل له في ذلك.

الجدال الرابع: العودة إلى حجة إرزاموس من سفر يشوع بن سيراخ ١٥:١٤-١٨.

دعنا نعود إلى النص المأخوذ من يشوع بن سيراخ ١٥:١٤-١٨ ونقارنه بوجهة النظر الأولى من وجهات النظر الثلاث السابقة. إن وجهة النظر التي تعتقد أنها ربما تكون صحيحة، تصرِّح بأن ***"الإرادة الحرة" لا يمكن أن ترغب في عمل الصلاح،*** لكن النص الموجود في يشوع بن سيراخ اُقتُبِس لإثبات أن "الإرادة الحرة" قد تفعل بعض الصلاح. إن رأيك أن ***هذا النص لا بد أن يؤيد وجهة النظر الأولى،*** لكنه لا يقول شيئا من ذلك على الإطلاق، وكأنك تقتبس نصًا عن بيلاطس وإلي سوريا لتبرهن أن المسيح هو المسيًا! لكن لكي أكون مُنصفًا سنفحص نص يشوع بن سيراخ ١٥:١٤-١٨. يبدأ النص بالقول: "هو صنع الإنسان في البدء وتركه في يد اختياره". وصولا لهذه النقطة لا توجد إشارة إلى الوصايا. إن إرادة الإنسان كانت حرة تماما عندما جعله سيدا على كل الأشياء، لكن بعد ذلك قيل إن الله أضاف القوانين والتعاليم، إذ مكتوب: "فإن شئتَ حِفظ الوصايا...." وهذا أيضًا صحيح؛ فقد أخذ الله من الإنسان وضْع السيادة ومنذ ذلك الوقت أصبح تحت أوامر الله. لم يكن حرًا. إذًا يمكنك أن ترى أن هذا النص يتفق بطريقة ما معي وليس معك! إن فهمي للنص يتفق مع الكتاب المقدس بجملته، أما فهمك له فيضع هذا النص في تناقض مع الكتاب المقدس بجملته.

الجدال الخامس: فحص أعمق لاستخدام إرازموس سفر يشوع بن سيراخ ١٥:١٤-١٨.

أنت تقترح أن الكلمات: "إن شئت حفظ الوصايا" توضح ***أن الإنسان قادر أن يختار بحرّية.*** إنك بجدالك هذا تحكم على كلمات الله بمنطق الإنسان، لكن بإمكاني أن أثبت لك أنه حتى بالمنطق البشري، فإن الكلمات "إن شئت" لا تعني بالضرورة القدرة على الطاعة. دعني أضرب لك مثالا: فالوالدان كثيرًا ما يطلبان من أطفالهما أن يعملوا

شيئا، لا ليُثبتا لهم أنه باستطاعتهم أن يفعلوه، بل ليُثبتا لهم أنهم لا يستطيعون أن يفعلوه، وذلك ليتعلموا طلب المعونة.

هذا هو أسلوب تعامل الله معنا، فهو يعطينا ناموسه ليكشف عجزنا الكامل عن أن نحفظه. هذا هو تعليم الرسول بولس في رو ٣:٢٠ ؛ ٥:٢٠ ؛ غل ٣:١٩ ، ٢٤.

الجدال السادس: حجج إرازموس لا بد أن تعني أن إرادة الإنسان حرة تماما.

هناك تناقض في جدالك، إذ أنك مرة تقول ***إن الكلمات الواردة في سفر يشوع بن سيراخ ١٥:١٤-١٨، "إن شئت حفظ ..." تعني أن الإنسان يمكنه أن يشاء أو لا يشاء،*** مع أنك قلت أيضًا ***إن وجهة النظر الأولى*** – من بين الثلاث السابقة التي وضعتها "للإرادة الحرة" – ***ربما تكون صحيحة،*** لكن وجهة النظر هذه تضمنت أن "الإرادة الحرة" لا تستطيع أن تعمل أي صلاح. لا يجوز أن تسير في الاتجاهين.

إن ما كُتب في يشوع بن سيراخ لا يذكر أنه: "إذا كنت سترغب وتحاول حفظ وصاياي...." لكن ما كُتب هو: "إن شئت حفظ الوصايا...." فلو كان ما ذُكر في يشوع بن سيراخ مؤيدا "للإرادة الحرة" على الإطلاق، فيجب أن تكون إرادة تامة وليس شيئا بيْن بيْن. هذه هي النتيجة التي توصل إليها البلاجيون عن هذه الكلمات.

أي شخص يرغب في عدم الاتفاق مع البلاجيين سيقع في مشكلة عويصة، لأنه قد يرغب فقط في بعض من "حرية الإرادة" في النص المذكور كما تفعل أنت، وهذا يعني أن الإنسان بكل بساطة حر أن يرغب ويحاول أن يطيع الله. وهنا يجيب البلاجيون بالقول: ***"إما أن هذا النص يعلّم "بإرادة حرة" كاملة أو تقييد كامل للإرادة.*** وقد يذهبون لأبعد من ذلك لأن النص يقول: "إن حَفِظ الإيمان ....". ونتيجة ذلك، فهم يعلّمون ***أن الإنسان حر أيضًا أن يؤمن،*** أما بولس فيجادل بشدة ضد ذلك، لأنه يقول إن الإيمان هو الهبة المميَّزة من الله (أف ٢:٨)، لكن يجب أن أعود إلى جدالي بأن سفر

يشوع بن سيراخ لا يعلِّم "بالإرادة الحرة". إنه لخطأ جسيم أن تجادل بأن الكلمات ***"إن شئت" يجب أن تعني: "إذن أنت تستطيع"***. إن آدم الإنسان الأول كان مُعانا بنعمة الله ومع ذلك فقد عصى الله، فإن كان آدم قد عصى فما الذي نستطيع فعله قبل أن يكون لنا أي نعمة على الإطلاق؟ إن "الإرادة الحرة" عاجزة تماما. إذا وضعتَ حالة آدم جنبا إلى جنب مع يشوع بن سيراخ ١٥:١٤-١٨، ستجد أن هذا النص ليس فقط غير مساند "للإرادة الحرة" بل هو أقوى دليل ضدها. إن هذا النص يعلِّمنا واجبنا لعمل إرادة الله وليس قدرتنا أن نطيع الله.

الجدال السابع: تك ٤:٧، نص آخر لإثبات أن الوصية لا تعني القدرة على الطاعة.

هذا النص: "عند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها"، قد اقتبستَه لتثبت ***أن الأفكار الشريرة يمكن التغلب عليها ولا تؤدي بالضرورة إلى خطية فعلية.*** وأعود وأقول إنك تناقض نفسك، فقد قُلتَ إن ***وجهة النظر التي قد تكون صحيحة، هي تلك التي تقول إن إرادة الإنسان لا يمكن أن تريد ما هو صالح،*** ومع ذلك فأنت تقول هنا ***إن الإنسان يستطيع أن يتغلب على الرغبات الشريرة،*** دون أي إشارة إلى معونة المسيح أو الروح القدس. الواقع أن النص لا يعلِّم شيئا من هذا القبيل. إنه مثال آخر لتعريف الإنسان ما يجب أن يعمل، وليس ما يستطيع أن يعمل. مثال آخر هو الوصية الأولى- "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي". إن العبارتين وصيتان، والوصايا لا تستلزم بالضرورة القدرة على الطاعة، بل بالأحرى تكشف عدم القدرة، كما هو حال قايين.

الجدال الثامن: تث ٣٠:١٩، لقد صُمم الناموس ليؤدي إلى معرفة الخطية.

هذا هو النص الثالث الذي اقتبستَه للتدليل على "الإرادة الحرة". منطوق النص هو: "قد جعلتُ قدامك الحياة والموت. البركة واللعنة، فاختر الحياة". وأنت تقول: ***"هل هناك***

أوضح من هذا لإثبات أن الإنسان له حرية الاختيار؟ لكني أجيبك بأنك أعمى! عندما قال موسى: "اختر الحياة" هل اختارها الناس؟ لو كانوا اختاروها ما كان هناك احتياج لعمل الروح القدس.

أنت تقول ***إنه من المضحك أن تقول لإنسان واقف عند ملتقى طريقين: "اذهب في الطريق التي تعجبك"، مع أن أحدهما فقط هو المفتوح،*** لكني أقول إن هذا التوضيح مضحك. صحيح أننا نقف عند مفترق طريقين، لكن كلا الطريقين مغلقيْن أمامنا وليس أحدهما فقط. لا يمكننا أن نسلك الطريق المؤدي للصلاح بدون نعمة الله، ولا حتى أن نسلك في الطريق الآخر بدون سماح من الله! في رو ٣:٢٠، لا يقول بولس: "بواسطة الناموس نصبح واعين للقوة أو الصلاح"، ولا يقول: "بواسطة الناموس قوة الإرادة"، لكنه يقول: "بالناموس معرفة الخطية". لا يقول الناموس ما يستطيع الناس أن يعملوا، بل ما يجب أن يعملوا.

ثم بعد ذلك اقتبستَ من تث ٣٠ عن "الاختيار" و "الابتعاد" و "الحفظ" وتقول إنه ***لو أن الناس لا يملكون القدرة لعمل هذه الأشياء، فإن الوصايا غير مبرَّرة (لا طائل منها)،*** لكنني أكرر إن هذه الوصايا تعرِّف الناس ما يجب أن يعملوا. إنها ليست بدون فائدة كما تقول، بل هي موضوعة لتعلِّم الإنسان المتكبر كم هو عاجز. أنت تحاول أن تسخر من هذا الواقع بتشبيهه بإنسان مقيَّد باستثناء ذراعه اليسرى، وقيل له إن هناك خمرًا جيدة عن يمينه وسمًّا عن يساره، وقيل له أن يختار واحدة منهما. ما الذي تحاول إثباته من هذه الصورة؟ هل تريد إثبات الحرية المطلقة لإرادة الإنسان؟ إنك كثير النسيان! لقد سبق وقلتَ ***إن "الإرادة الحرة" لا تستطيع أن تعمل شيئا بدون نعمة الله.*** لقد حاولتَ أن تسخر من موقفي بتشبيهك هذا، ولكن دعني أقدم موقفي بتوضيح أفضل. نفرض أن إنسانًا مقيد الذراعيْن! ويفتخر بأنه حر لأنه يحرك ذراعيه لليمين ولليسار، ثم أُمر أن يحرك إحداهما في اتجاه واحد، لا لكي نضحك عليه، بل ليثبُت

أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك. في الكتاب المقدس نرى الإنسان، ليس فقط مقيدا بالشيطان، بل أيضًا مخدوعًا في الظن بأنه حر أن يفعل ما هو صالح. إن ناموس موسى قد أُعطي ليُظهر للناس أنهم مخدوعون بحريتهم المزعومة.

الجدال التاسع: التباس إرازموس بين الناموس والإنجيل.

لقد استندتَ على عدد من النصوص لتثبت صحة ادعائك، لكنك أخفقت كل الإخفاق في إظهار الفرق بين الناموس والإنجيل. دعني أريك كيف يمكن أن يُعَلَّم الإنجيل من النصوص التي تظن أنها تشير إلى الناموس. انظر مثلا إلى إر ١٩:١٥، "إن رجعت أرجِّعك"؛ زك ٣:١، "ارجعوا إليَّ يقول رب الجنود فأرجع إليكم". هل الكلمة "ارجعوا" تُثبت أن الإنسان له القدرة على الرجوع، أكثر من إثبات الوصية: "تحب الرب إلهك من كل قلبك" (تث ٥:٦) أن الإنسان له القدرة أن يحب الله؟ هذه الكلمات لا تُثبت أن الناس في استطاعتهم الرجوع إلى الله بقوَّتهم الذاتية، لكن عندما يعرف الناس ما يجب عليهم أن يفعلوا، حينئذ سيبحثون عن مصدر القوة التي بها يطيعون. إن العبارة: "ارجعوا إليَّ" لا تعني حاولوا أن ترجعوا. أنت تقول ***إن النعمة متاحة عندما يحاول الناس أن يرجعوا***، لكن ذلك سيجعل الجزء الثاني يعني: "سأحاول أن أرجع إليكم". هذا سيكون مُدهشا! إذ أن هذا يعني أن النعمة ربما تتاح لله أيضًا. دعنا من هذه المجادلات الفارغة، فالكلمة "ارجعوا" استُخدمت في الكتاب المقدس بطريقتيْن إحداهما الطريقة التشريعية والأخرى الطريقة الكرازية، فعندما تُستخدم للطريقة التشريعية، فهي وصية مُلزِمة، ليس فقط لأن يحاول الإنسان أن يطيع، بل لتغيير تام لحياته (مثال ذلك إر ١:٤ ؛ ٥:٢٥ ؛ ١٥:٣٥)، وعندما تُستخدم الكلمة "ارجعوا" كأسلوب كرازي، فإن الله يقولها كوعد معزٍّ لا يُطلب منا شيء بخصوصه، بل تقدَّم لنا نعمة الله (مثال ذلك مز

٧:١٤ ؛ ٧:١١٦ ؛ ١:١٢٦). لقد قدم لنا زكريا رسالة كل من الناموس والنعمة. إن مجمل الناموس يوجَز في العبارة "ارجعوا إليَّ" والنعمة توجَز في العبارة "فأرجع إليكم".

لقد تعاملتَ مع النص الوارد في حز ٢٣:١٨ بنفس الأسلوب. "هل مسرةً أسرُّ بموت الشرير يقول السيد الرب؟ ألا برجوعه عن طرقه فيحيا؟" مرة أخرى تأخذ الكلمات "ألا برجوعه" على أنها ***تستلزم القدرة على فعل ذلك***. إنك تجعل هذا النص تشريعي بدلا من جعله كرازي. إنك تجعله يستلزم أننا ***لا يجب أن نخطئ***. هذا ناموس، لكن الرب يقول: "هل مسرة أسرُّ بموت الشرير"، ويتحدث بوضوح عن عقاب الخطية الذي يستحقه الشرير ويدركه. إن الله يعطي لمثل هذا الشخص رجاء الغفران والخلاص. إن كلمات الناموس توضع ثقيلة على أولئك الذين لا يشعرون بخطاياهم، ولا يدركونها. إنهم يرون ما عليهم أن يفعلوا، لكن حينئذ قُدِّم الإنجيل لأولئك المفجوعين من جرَّاء الشعور بالخطية ومجرَّبون بأن يصابوا باليأس.

إذن الكلمات المأخوذة من حزقيال: "هل مسرة أسرُّ بموت الشرير" بعيدة كل البعد عن إثبات "حرية الإرادة"، فهي تثبت النقيض تماما. إنها توضح مدى عجزنا إن كنا في معزل عن كلام الله بوعده. الواقع إن حالتنا تزداد سوءًا إلى أن ترفعنا النعمة. إن كلمات النعمة هذه ضرورية لخلاص الخطاة (إن لم يكن اعتقادك بأن الله يقول هذه الأمور لأن الله يحب الكلام). لن يقبل كلمة الوعد هذه إلا الذين أظهر لهم الناموس خطاياهم. إن الذين لم يشعروا بقوة ناموس الله، وليس عندهم خوف من الموت والدينونة، لا يهتمون بمواعيد رحمة الله.

الجدال العاشر: إرادة الله المُعلَنة وإرادته السرّية.

في النص الذي ناقشناه للتوِ من حزقيال، لا توجد علاقة على الإطلاق للنبي بالسؤال عن سبب إدانة البعض بالناموس دون سواهم، ولا عن سبب حصول البعض على نعمة الله دون سواهم.

يجب أن نميّز بكل وضوح بين إرادة الله المُعلَنة وبين إرادته السرّية؛ ففي إرادة الله السرّية يعتزم أن يهب رحمته للذين اختارهم. ليس من حقِّنا أن نستفسر عن ذلك بل أن نجلَّه ونوقِّره. علينا أن نهتم بما أعلنه الله، لا بما يحتفظ به لنفسه.

بتطبيق ذلك على النص الذي نحن بصدده، فإنه يعني أن الله في جلاله، لا يندم على موت الخاطئ، لكنه بحسب ما أعلن نفسه للبشر، يحزن للموت الذي يجده في شعبه، وقام بعمل ما يضمن إبعاد الخطية والموت عنهم. من المستحيل أن نسترشد بإرادة الله السرّية، لأننا لا نعرف ما هي، لكن يكفينا أن نعرف أن إرادة الله السرِّيَّة موجودة، فنخافه ونُجِلُّه.

لذلك من الصواب تماما أن نقول إنه إن هلكنا فيكون ذلك خطأنا، إن كنا نتحدث عن الله الذي عرَّفنا بنفسه، لأن الخطأ في الواقع في إرادة الإنسان (مت ٢٣:٢٧). أما السؤال لماذا لا يزيل هذا الخطأ من كل إنسان، أو لماذا يجعلنا الله مسؤولين عن الخطأ، إذا كنا لا نستطيع أن نتحاشاه، فهذا ليس من حقنا. حتى إذا سألنا سؤالا كهذا فلن نجد الإجابة، كما يقول بولس في رو ٩:٢٠، "بل من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله؟"

الجدال الحادي عشر: الإلزام ليس دليلا على القدرة على الطاعة.

إنك تواصل جدالك بالقول: ***"إن لم تكن قوة الإنسان هي التي تجعله يحفظ الوصايا، فإن كل التشجيع الموجود في الكتاب المقدس، وكذلك كل الوعود والتهديدات والتوبيخ والبركات واللعنات وغيرها الكثير من الأمثلة، تصبح بلا معنى".*** أعود وأقول كما سبق وشرحتُ، فإنه كثيرًا ما تكون النصوص الكتابية التي تستلزم واجبا معيَّنا، لا يمكن استخدامها لإثبات وجود ما يسمى بـ "الإرادة الحرة" كما تفترض أنت. أحد النصوص الأخيرة التي استخدمتَها لتدعم موقفك هو تث ٣٠:١١-١٤ "إن هذه الوصية التي أوصيك بها ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك. ليست هي في السماء حتى تقول من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويُسمعنا إياها لنعملَ بها، ولا هي في عبر البحر حتى تقول من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويُسمعنا إياها لنعمل بها، بل الكلمة قريبة منك جدًّا، في فمك وفي قلبك لتعملَ بها".

أنت تقول ***إن هذه الكلمات، لا توضح فقط استطاعتنا أن ننفذ الوصايا، بل أيضًا أن تنفيذ الوصايا غاية في السهولة،*** لكني أقول إنه لو كان ذلك حقا هو المقصود بهذا النص، لكان علينا أن نقول إن المسيح أضاع وقته هباءً. لقد سكب دمه ليحصل لنا على الروح القدس مع أننا لسنا بحاجة إليه، حيث أنه بإمكاننا أن نعمل كل ما يطلبه منا الله بسهولة وتلقائية. لو كان الحال هكذا، فكيف يتفق مع جدالك بأن وجهة النظر القائلة بأن ***"الإرادة الحرة" لا يمكنها عمل أي صلاح بدون النعمة ربما تكون صحيحة؟*** هل نسيت أنك كتبت ذلك؟

لا يلزمني أن أشير إلى تفسير بولس لما جاء في تث ٣٠:١١-١٤، وذَكَرَه في رو ١٠:٨. كل ما أحتاجه هو النظر إلى النص نفسه لنرى أنه لا توجد كلمة واحدة قيلت عن "الإرادة الحرة". على سبيل المثال، ما معنى العبارات: "عسرة عليك" و "بعيدة منك" و "في السماء" وفي "عبر البحر"؟ إنها ببساطة تشير إلى أشياء علينا أن نحاول أن

نعملها. إنها لا تذكر شيئا عن قدرتنا على عمل هذه الأشياء. إنها تشير بكل بساطة إلى مسافة. أنا أعلم أن هذا يندرج في نطاق إدراك تلميذ في المدرسة، لكن ماذا يمكنني أن أعمل بخلاف ذلك، إذا كنتُ أواجه جدالا بهذه الحماقة؟ من الواضح جدا أن موسى كمعطٍ للناموس كان أمينا في هذا النص. إنه لا يدع مجالا لأعذار بعدم معرفة ماهية ناموس الله، ولا يلزمهم أن ينظروا في موضع آخر ليعرفوا ما يطلبه الله، وليس بإمكانهم التَّذرُّع بالجهل كسبب لعدم حفظ الناموس، ولا يستطيعون القول بأنه غامض. إنه واضح كل الوضوح. إذن فقد جُرِّدت "الإرادة الحرة" من كل أعذارها عن عدم الطاعة.

وأكرر هنا أن هذه النصوص ترينا فقط ما يطلبه الله. إنها ترينا ما يجب علينا أن نعمله، وإن كنا لا نستطيع القيام به. إن الهدف منها أن تُظهر لنا كم نحن عاجزون خطاة.

الجدال الثاني عشر: يجب ألا يبحث الإنسان عن إرادة الله السرِّية.

نأتي الآن إلى جدالك من نصوص العهد الجديد. إنك تعطي أهمية خاصة للنص المذكور في مت ٣٧:٢٣، "يا أورشليم يا أورشليم ... كم مرة أردت أن أجمع أولادك ... ولم تريدوا". إنك تجادل بأنه ***لو أن كل شيء يحدث تماما كما يريد الله، لكان لأورشليم الحق في أن تجيب: "لماذا تهدر دموعك؟ إن كنتَ لم تُرِدْ لنا أن نصغي للأنبياء، فلماذا أرسلتهم؟ لماذا تلقي بالمسؤولية علينا مع أنك أنت الذي قررتَ ما يجب أن نعمل؟***

لكني أقول ثانية إننا لا يجب أن نتطفل على إرادة الله السرِّيَّة، لأن أمور الله السرِّية أسمى منَّا جدا (١تي ١٦:٦). يجب أن نصرف وقتنا آخذين بعين الاعتبار ربنا يسوع المسيح الله المتجسد، الذي فيه بيَّن لنا ما يجب وما لا يجب أن نعرفه (كو ٣:٢).

صحيح أن الله المتجسد يقول: "كم مرة أردت أن أجمع .... ولم تريدوا". لقد جاء المسيح ليتألم وليقدم كل ما يلزم لخلاص كل الناس، إلا أن بعض الناس إذ تقسوا، بحسب إرادة الله السرّية، رفضوه (يو ١:٥ ،١١). إن نفس الإله المتجسد يبكي ويرثي لهلاك الأشرار، مع أنه في مشيئته الإلهية يتركهم عمدا ليهلكوا. ليس لنا أن نسأل لماذا، بل أن نقف في رهبة من الله. قد يقول البعض: ***"حيث أني قد حوصرت في مأزق، فإني أتفادى الأمر بالقول إننا لا نقدر أن نتطفل على إرادة الله السريَّة"***، لكن هذا ليس من اختراعي، إنه الطريقة التي جادل بها في رو ١٩:٩ ، ٢١ وقبل ذلك في إش ٢:٥٨. واضح أنه يجب ألا نحاول أن نشك في إرادة الله السريَّة، خاصة إذا لاحظنا أن الأشرار هم فريسة هذا الإغراء. علينا أن نحثَّهم أن يصمتوا في وقار، أما إذا أراد أحد أن يتمادى في هذا المجال من التساؤلات، فليفعل، لكنه سيجد نفسه يحارب الله، وسنرى لمن تكون النصرة.

الجدال الثالث عشر: إن الناموس يُظهر ضعف الإنسان كما يُظهر قوة الله المخلِّصة.

لقد اقتبستَ نصًّا آخر هو مت ١٧:١٩، "إن أردتَ أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا"، ثم تتساءل ***كيف يمكن أن تُقال العبارة "إن أردت" لإنسان إرادته ليست حرة***، لكنك في موضع آخر وافقت على أن ***"الإرادة الحرة" لا ترغب في الصلاح، وأنها بدون النعمة لا يمكنها إلا أن تخدم الخطية***، فكيف لك أن تُثبت الآن أن ***الإرادة حرة تماما***. هل من الصواب حقا أنه في كل مرة نقول "إن أردت" أو "إن كنت ترغب" فهذا يعني أن هناك إمكانية لعمل ذلك؟ لنفرض أننا نقول: "إن أردت أن تُقارَن بداود، فيتحتم عليك أن تؤلف مزامير كمزاميره"، ألا يعني ذلك أنه من المستحيل حدوث هذا ما لم يمكِّنه الله؟ لذلك فإننا نجد في النصوص الكتابية عبارات كهذه لترينا ما يمكن أن يُعمل بقوة الله وما لا نستطيع أن نعمله بأنفسنا. هذه العبارات لا ترينا الأشياء التي لا نستطيع

أن نعملها بقوتنا الطبيعية فحسب، لكنها تعطينا وعدًا بوقت تُعمل فيه هذه الأشياء بقوة الله. ويمكننا أن نعبِّر عن النص الكتابي المقتبس كالآتي: "لو حدث وكان لك الإرادة لحفظ الوصايا (وهذه لن تكون من ذاتك بل من الله الذي يعطيها لمن يشاء)، حينئذ ستحفظك الوصايا". بهذه الكيفية نرى أننا لا نستطيع عمل أي شيء أُمِرنا به، لكن في نفس الوقت يمكننا أن نعملها جميعا – فضعفاتنا نحن مصدرها؛ أما إمكانياتنا فتأتينا بنعمة الله.

الجدال الرابع عشر: لقد أُعطيت تعليمات العهد الجديد لإرشاد المبرَّرين.

إنك تستخدم حجة مبنيَّة على شواهد عديدة من العهد الجديد للأعمال الحسنة والأعمال السيئة. على سبيل المثال: "افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السماوات، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم" (مت ٥:١٢). أنت تقول إنه ***لو أن كل شيء يحدث لأن الله يريده أن يحدث، فلا يمكن أن تكون هناك أي ميزة للأعمال الصالحة،*** وبذلك تريد أن يعني النص ***أن الإنسان يمكنه بدون أي مساعدة أن يعمل أعمالا صالحة، تستحق المكافأة بدخول السماء.*** حسن جدا! "الإرادة الحرة" خطت بعض الخطوات بحسب كتابك! "فالإرادة الحرة" ليست قادرة أن تريد وأن تعمل صلاحا فحسب، بل تريدها الآن أن تستحق الحياة الأبدية! إذن فما هي حاجتنا للمسيح أو الروح القدس؟

إن الأذكياء يمكن أن يكونوا عميانا عن أمور هي في غاية الوضوح للبسطاء! لقد فشلتَ في تمييز الفرق بين العهد القديم والعهد الجديد. في العهد القديم توجد قوانين وتهديدات صُممت لتجعلنا نهرع إلى الوعود الموجودة في العهد الجديد، ففي العهد الجديد يوجد الإنجيل، الذي فيه نجد النعمة وغفران الخطايا التي حصلنا عليها في المسيح المصلوب، ثم نجد تشجيعات وتعليمات لتُنهض أولئك الذين تبرروا – إذ حصلوا على النعمة والغفران – ليُنتجوا ثمر الروح وليحملوا الصليب بجسارة.

لقد أصابك العمى عن كل عمل الروح القدس المجدِّد، فأصبحتَ لا ترى في الكتاب المقدس سوى القوانين التي بها يجب أن يعيش الناس، وهذا أمر عجيب أن يصدر عن شخص قضى الوقت الطويل في دراسة الكتاب المقدس. إن النص الموجود في مت ١٢:٥، تأثيره في "الإرادة الحرة" يماثل تأثير النور في الظلمة، فقد قُصد به فقط تشجيع الرسل – الذين كانوا في النعمة أصلا – حتى يمكنهم تحمُّل صعوبات العالم.

الجدال الخامس عشر: إن أساس الجعالة هو وعد الله وليس استحقاق الإنسان.

إن الأجر المذكور في مت ١٢:٥، هو نوع من الوعود، لكن الوعد لا يبرهن على أننا نستطيع أن نعمل أي شيء، بل يبرهن فقط على أننا إذا فعلنا أشياء معينة فإننا سننال المكافأة. والسؤال هو: هل في استطاعتنا أن نعمل الأشياء التي تستحق المكافأة؟ البعض يقول: ***"إن المكافأة موضوعة لكل من يركض، إذن كل من يستطيع الجري يحصل على الجائزة!"*** أليس هذا منطقًا مضحكًا؟ (كان يمكن أن يكون الأمر مفيدًا لو أمكن تأسيس "الإرادة الحرة" على مثل هذه المجادلات!)

أنت تحاول أن تجادل بالقول: ***ما دام الله يقرر كل شيء، إذن لا نستطيع أن نتحدث عن مكافأة.*** إن كنت تقصد أنك لا تعطي مكافأة لعاملٍ كارهٍ في العمل، فإني أتفق معك، لكن عندما يعمل الناس صلاحا أو شرًّا متعمدين، فلا بد أن يتبع ذلك مكافأة أو عقاب مناسب. هذا حق مع أنهم لا يقدرون أن يغيِّروا إراداتهم بقوتهم الذاتية، فإذا كانت رغبتنا في عمل الصلاح هي بالنعمة فقط، فمن الواضح إذن أن الاستحقاق والمكافأة هما بالنعمة وحدها.

لا يجب أن نتحدث عن الاستحقاق بل بالأحرى عن تبعات ما نفعل، فلا يوجد ما هو صلاح أو شر لا يستحق المجازاة، فدينونة الله وجهنم تنتظران الأشرار بكل تأكيد، وعلى النقيض الآخر هناك ملكوت ينتظر الأتقياء بدون شك؛ لأنه قد أُعِد لهم بواسطة

أبيهم السماوي (مت ٢٥:٣٤). إذا حاولنا أن نعمل الصلاح لنستحق ملكوت الله فسوف نفشل، باعتبار أننا أشرار، أما أولاد الله فيعملون الصلاح غير طالبين أية مجازاة إلا مجد الله. إن كان الأمر كذلك فما معنى كل النصوص الكتابية التي تَعِد بالملكوت وتهدد بجهنم؟ (تك ١٥:١ ؛ ٢أخ ١٥:٧ ؛ أي ٣٤:١١ ؛ رو ٢:٧). إنها بكل بساطة توضح نتيجة الحياة الصالحة والحياة الشريرة. لقد قُصد بها إرشاد وإيقاظ الناس. إنها لا تتحدث عن الاستحقاق بل تعلِّمنا ما يجب أن نعمله، وتشجعنا أن نقوم به إلى النهاية. (تك ١٥:١ ؛ ١كو ١٥:٥٨ ؛ ١٦:١٣). إنها كما لو كنا نشجع أحدا بقولنا إن ما يفعله يُرضي الله، أو ننذر أحدا بأن ما يفعله يغضب الله.

هل تريد أن تجادل بالسؤال: ***"لماذا يزعج الله نفسه بإخبارنا عن هذه الأمور، إذا كانت مقرَّرة مُسبَقًا؟*** والإجابة هي أن الله ينجز قصده فينا من خلال كلمته. كان بإمكانه أن يعمل هذه الأشياء بدون تلك الكلمة، لكن مسرته أن يجعل منا فعلةً عاملين معه؛ لذلك فهو يخبرنا بهذه الأمور في كلمته ليشاركنا. إذن فنحن نرى أن الله يجري إرادته فينا، لكنه أيضًا يعطي كلمته ليُخبر العالم كله بالحقائق عن المجازاة والعقاب، حتى يعلن للعالم كله قوَّته ومجده، مقابل ضعفنا وشرِّنا. والحقيقة هي أن كل هذه الحقائق التي ينكرها الباقون، يقبلها الأتقياء في قلوبهم.

الجدال السادس عشر: سيادة الله لا تلغي مسؤوليتنا.

أن تستخدم في جدالك النص الموجود في مت ٧:١٦ "من ثمارهم تعرفونهم"، وتقول ***إن الثمر قِيل إنه ثمرنا وبالتالي لا يمكن أن يكون قد أُعطي لنا من الله بروحه،*** فالواقع إن هذا جدال تافه! نحن نقول مسيحنا، مع أننا قبلناه، ونقول عيوننا مع أننا لم نصنعها! ثم استخدمتَ حجة أخرى من لو ٢٣:٣٤ "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون". أنت تقول إنه ***لو لم تكن إرادتنا حرة، لكان حَرِيٌّ بيسوع أن يسامح***

قاتليه؛ لأن ليس لهم "إرادة حرة" ولم يكن في مقدورهم أن يفعلوا خلاف ذلك، لكن الإجابة عليك موجودة في كلمات ربنا: "لا يعلمون ماذا يفعلون". هل كان الأوضح لو قال المسيح إنهم غير قادرين أن يريدوا ما هو صالح؟ كيف كان لهم أن يريدوا ما لم يعرفوه؟ لا يوجد تصريح أقوى يمكن أن يُقال عن افتقار الإرادة، فلا ينحصر الأمر في عدم استطاعتها عمل الصلاح، لكنها لا تعرف حتى مدى الشر الذي تفعله، ولا تعرف ما هو الصلاح!

ثم إنك تستند إلى ما جاء في يو ١٢:١ "أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه"، وتقول ***كيف يُعطَى لهم السلطان (الحق) أن يصيروا أولاد الله، ما لم تكن هناك حرية للإرادة؟*** لكني أسألك أن تقرأ النص بعناية، فيتحدث يوحنا عن التحوّل الكامل من كوْن الإنسان ابن إبليس، إلى كونه ابنًا لله. إن الإنسان لا يعمل شيئا، لكنه يصبح شيئا عظيما! إننا نصبح أولاد الله بعمل الله، وليس عن طريق أي ممارسة "للإرادة الحرة" داخلنا. إن يوحنا يخبرنا أن إنجيل النعمة، يخلق للناس الفرصة الرائعة ليكونوا أولاد الله، إن أرادوا أن يؤمنوا دون الحاجة للأعمال. لكن هذه الإرادة وهذا الإيمان إنما هما أمران ليس للناس معرفة سابقة بهما، ولا في استطاعتهم أن يعملوهما بقوَّتهم الذاتية. إن الناس ليس بإمكانهم أن يستنبطوا لأنفسهم إنجيلا يشمل الإيمان في المسيح بأنه ابن الله وابن الإنسان، وبالتالي كيف يمكن أن يرغبوا في قبوله أو يستطيعوا ذلك؟ إن يوحنا لا يكرز بفضائل "الإرادة الحرة" بل بغنى ملكوت الله، معروفا سابقًا لكل العالم في الإنجيل، كما يوضح يوحنا أيضًا أن الذين يقبلون الإنجيل هم قِلَّة، لنفس السبب الذي تعارضه "الإرادة الحرة". إن ما تعادله قوة "الإرادة الحرة" هو – أن الشيطان يحكمها، لذلك هي ترفض نعمة الله، كما أنها ترفض الروح الذي يتمم الناموس فينا؛ لأن "الإرادة الحرة" تظن أنه باستطاعتها أن تطيع الناموس بمجهوداتها الذاتية. ثم إنك تقتبس من بولس لتدعم موقفك (بولس أعظم

معارض "للإرادة الحرة") إذ تستخدم ما جاء في رو ٤:٢ "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟" ثم تسأل: ***"كيف يمكن أن يكون هؤلاء مذنبين بالاستخفاف بأمور الله إن كانوا بلا "إرادة حرة"؟ إن كان الله هو من يقضي على هؤلاء المجَبَرين على فعل الشر، فكيف يدينهم؟***

إجابتي عليك أن كلمات رو ٤:٢ هي تحذير قُصد به أن يرى الأشرار كم هم عاجزون، ويجعلهم متَّضعين، وبذلك يجهزهم لقبول نعمته.

الفصل الثالث

رأي لوثر في تعليم إرازموس

صفحة

الجدال الأول	:	أسلوب إرازموس.	٥٥
الجدال الثاني	:	إرازموس يلوِي النصوص الكتابية.	٥٥
الجدال الثالث	:	تفسير إرازموس لتقسِيَة قلب فرعون.	٥٦
الجدال الرابع	:	استخدام الله لطبيعة البشر.	٥٨
الجدال الخامس	:	أسلوب الله في تقسِيَة الإنسان.	٥٩
الجدال السادس	:	تقسِيَة الله لقلب فرعون.	٦٠
الجدال السابع	:	تعامل إرازموس مع ما جاء في رو ٩:١٥-٣٣.	٦٢
الجدال الثامن	:	المنطق الطبيعي يجب أن يسلّم بسيادة إرادة الله.	٦٣
الجدال التاسع	:	رو ٩:١٥-٣٣ (بقية).	٦٣
الجدال العاشر	:	سيادة الله و"الإرادة الحرة" لا يمكن أن يتعايشا.	٦٤
الجدال الحادي عشر	:	تعامل إرازموس مع ما جاء في ملا ١:٢-٣.	٦٤
الجدال الثاني عشر	:	الخزاف والطين.	٦٧
الجدال الثالث عشر	:	بر الله.	٦٨
الجدال الرابع عشر	:	بولس ينسب خلاص الإنسان لله وحده.	٦٩

الجدال الأول: أسلوب إرازموس.

أنت تريد أن تصيب مقاوميك بالذعر، بتجميع عدد كبير من النصوص الكتابية لتدعم "الإرادة الحرة" ثم تحاول أن تجعلنا نبدو حمقى، بافتراضك أن نَصَّيْن فقط يدعماننا هما خر ١٢:٩ ، ملا ٢:١-٣ ويبدو أنك لم تتأثر بتناول بولس لهذه النصوص في رو ٩!

على أي حال فإني سأتناول هذيْن النصَّيْن لأريك دعمهما القوي لموقفنا.

الجدال الثاني: إرازموس يلوِي النصوص الكتابية.

لقد اخترعتَ أسلوبا جديدا لضياع المعنى الواضح للنص. أنت تصرّ على أن ***النصوص التي تعارض "الإرادة الحرة" بصورة واضحة، لا بد لها من "شرح" يُبرز معناها الحقيقي،*** ونحن يجب أن نصر على أن مثل ذلك "الشرح" ليس له أي قيمة، إلا إذا كان من السخف أن نتمسك بالمعنى الواضح للنص. في كل موضع آخر علينا أن نثبُت على المعنى البسيط والطبيعي للكلمات، متَّبعين قواعد اللغة والعادات والأقوال التي خلقها الله بين الناس. إذا فعلنا عكس ذلك فلن يكون هناك ما هو مؤكد في أي موضع. ليس كافيا أن تزعم احتمال لزوم "شرح"، لذا علينا في كل حالة أن نتساءل إن كان هناك حاجة أو ضرورة "لشرح". إذا لم نُثبِت أن الشرح ضروري فلن نحقق شيئا.

لنأخذ مثالاً من شرحك للنص في خر ٢١:٤ "أشدِّد قلبه (فرعون)"، فأنت تقول ***إن هذا لا بد أن يعني: "سأسمح له أن يتقسَّى"، لأننا أحيانا نقول شيئا مثل: "أنا أفسدتك"، عندما نقصد: "أنا لم أعاقبك عندما كنت مخطئًا"،*** لكن الكلمات واضحة وشفافة؛ لا تحتاج إلى "شرح"، ويجب أن تؤخذ كلمة الله في معناها البسيط كما توضحه الكلمات. يجب ألا نعيد كتابة كلمات الله على هوانا، فقد نجد أنفسنا نفسر الكلمات: "خلق الله

السماوات والأرض" على أنها تعني: "لقد وضعها في مكانها لكنه لم يصنعها من عدم!" إذا اتبعنا هذا الأسلوب، فإن هذا يعني بالضرورة أن أي شخص في العالم يمكنه أن يكون عالما لاهوتيا، بمجرد أن يفتح كتابه المقدس!

الجدال الثالث: تفسير إرازموس لتقسِيَة قلب فرعون.

لقد كان تفسيرك للقول: "أشدد قلبه (فرعون)" أنه: ***"طول أناتي التي أحتمل بها الخاطئ والتي تقود آخرين إلى التوبة، تجعل فرعون أكثر تعنتا في الشر"***. وتفعل نفس الشيء مع رو ١٨:٩ و إش ١٧:٦٣، لكن لا يوجد سواك من يقول، بأن هذه هي التفاسير الصحيحة.

صحيح أنك تقتبس من أوريجانوس وجيروم، لكن من الذي يقنعني بأنهما على حق؟ باختصار إن نتائج شرحك، هو أنك تقلب معنى هذه النصوص رأسا على عقب. يقول الله: "إني أشدد قلبه (فرعون)" وأنت تحوّلها إلى: يقول الله: ***"إن فرعون سيشدد قلبه"***. إنك تحمِّل مسؤولية قلب فرعون على رحمة الله. إذا واصلتَ بهذه الكيفية فإنك ستحوّل رحمة الله إلى غضب، وغضب الله إلى رحمة. لا شك أننا نعرف أن رحمة الله يمكن أن تقود إلى تقسّي بعض الناس، لكن غضب الله يؤدي إلى هذا أيضًا، ونعرف أيضًا أن رحمة الله ستليّن بعض القلوب وأن غضب الله أيضًا يمكن أن يؤدي إلى نفس النتيجة، ومع ذلك فليس هذا عذرًا للخلط بين غضب الله ورحمته. لقد قال إنه سيشدِّد قلب فرعون ثم ابتلاه وعاقبه بعشر ضربات، لكنك قد تجعل هذه الضربات من أعمال رحمة الله! فهل توجد فكرة أكثر تجاوزًا من هذه؟ إن رحمة الله ظهرت أيضًا عندما عُلِّقت الضربات مرة تلو الأخرى، عندما تظاهر فرعون بالتوبة، لكن هذه الضربات كانت الوسائل التي استُخدمت لعقاب فرعون وتقسِّي قلبه.

دعنا نفترض أن الله يقسِّي القلوب عندما يمارس طول أناته بتوقُّف عقابه الفوري، فستظل القلوب هكذا ما لم يليِّنها روح الله؛ لذلك فإن القلوب تُقسَّى بإرادة الله وتليَّن بأمر نفس الإرادة الإلهية، بغض النظر عن الوسيلة المستخدمة.

أنت تقول: ***"كما أنه بنفس الشمس يتصلَّب الطين وينصهر الشمع، وبعد سقوط نفس المطر، فإن الأرض المحروثة تنتج ثمرا، لكن الأرض غير المحروثة تنتج أشواكا؛ هكذا بنفس طول أناة الله، البعض يتقسَّوْن والآخرون يتجددون".*** لكن هذا لا يؤيد منطقك على الإطلاق. أنت تصر على أن ***كل الناس متساوين – كلهم لهم "إرادة حرة"***، لكن اختيار الله هو الذي يفرِّق بين الناس. بدون الاختيار الكل أحرار، لكنهم أحرار في رفض الله فقط، وأنت تقول ***لا يوجد اختيار***، وهذا معناه أنك تُركت لإله عاجز، إذ أن الناس يُدانون أو يخلصون دون عِلمه، فهو يضع صلاحه أمام الناس، ثم بعد ذلك لا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك! هذا أقصى ما يستطيعه العقل البشري. لكنك أحدثت خلطا في الموضوع إذ اخترعت اثنتيْن من "الإرادات الحرة" – الشمع والطين، المحروثة وغير المحروثة. هذان المثالان لا يخدمان حجتك، إنهما يُفْهَمان فقط إذا دعَوْنا الإنجيل، المطر والشمس؛ والطين والأرض غير المحروثة، بغير المختارين، والشمع والأرض المحروثة بالمختارين. إن الإنجيل يزيد سوء غير المختارين، بينما يجعل المختارين أفضل حالا.

لقد اخترعت تفسيرك بأن ***فرعون قسَّى قلب نفسه في وجه صلاح الله، لأنه بحسب رأيك أن فكرة أن الله الصالح هو من قسَّاه، فكرة غير معقولة.*** من يقول هذا؟ إن العقل البشري فقط هو الذي يُصدم بذلك. هل نحكم على عمل الله بالعقل البشري الأعمى الأصم الشرير؟ لو كانت هذه هي القاعدة، لكان كل الإيمان المسيحي غير معقول، كما يقول بولس في ١كو ٢٣:١، "لليهود عثرة ولليونانيين جهالة" أن يتجسد

الله ويولد من عذراء ويُصلَب ويجلس عن يمين الآب. إن الإيمان بمثل هذه الأمور لا يُقبَل من العقل البشري.

لكنك لم توضح الموضوع في أي حالة بجزمك ***أن الإنسان مسؤول عن تقسّي قلبه.*** ما زلتَ مُطالَبًا بأن تشرح كيف يمكن أن يُطلب من الإرادة الحرة أن تفعل أمورًا مستحيلة. كيف يمكن أن يحمِّل الله مسؤولية الخطية "للإرادة الحرة" مع أنها لا تستطيع أن تفعل شيئا آخر؟ أنت تحتكم إلى العقل. إن هذه الأمور غير مقبولة للعقل البشري.

تبقى الحقيقة أن ممارسة كل "الإرادة الحرة" في العالم، لا يمكنها أن تحفظ الناس من تقسّي قلوبهم دون عمل الروح القدس.

لقد قلتَ ***إنه لا يمكن أن يكون الله قد جعل فرعون ما كان عليه، لأن الله رأى كل ما عمله فإذا هو حسن جدا،*** لكن المعروف أن هذا الشاهد هو عن خليقة الله الأصلية قبل السقوط، ومنذ ذلك الوقت، فكلنا، بما في ذلك فرعون، انحدرنا من سلالة شريرة فاسدة. حتى لو أن هذه الكلمات قُصد بها أعمال الله بعد السقوط، فإنها تشير إلى طريقة الله في رؤية الأشياء، وليس نظرة الناس لها، فهناك الكثير من الأشياء حسنة في عيون الله لكنها رديئة في عيوننا. على سبيل المثال – المِحَن والأحزان والأخطاء والجحيم وكل أعمال الله الفضلى هي رديئة في عيون العالم. إن الإنجيل هو أفضلها جميعا، لكنه مكروه من العالم أكثر من أي شيء آخر.

الجدال الرابع: استخدام الله لطبيعة البشر.

قد يتساءل بعض الناس ***كيف يُحدث الله تأثيرات شريرة فينا أو يقسّينا أو يسلّمنا لشهواتنا ويجعلنا نخطئ؟ يجب أن نكون قانعين بما يخبرنا به الكتاب المقدس.*** إجابتي هي أنه بدون النعمة التي تختار، فإن الله يتعامل مع الناس بحسب طبيعتهم،

لأن طبيعتهم شريرة ومنحرفة. تخيَّل إنسانا ممتطيًا حصانا له رجلان سليمتان أو ثلاثة فقط. إن قيادته للحصان متوقفة على حصانه، فالحصان يسير ببطء، لكن ماذا يفعل الفارس؟ إنه يقود هذا الحصان برفقة حُصُن جيدة، فمع أن باقي الحُصُن تسير بسرعة فإن حصانه مضطر أن يسير ببطء، ما لم يتم شفاؤه.

هكذا يمكنك أن ترى أنه عندما يعمل الله أشياء بواسطة أناس أشرار، فالنتيجة حدوث أشياء شريرة، لكن الله نفسه لا يمكن أن يفعل شرًّا. إن الله هو السيد، والناس الأشرار هم خليقة الله ويخضعون لسيطرته. إن الله لا يعلّق سيادته بسبب شر الإنسان. إن الإنسان الشرير لا يستطيع أن يغيّر حالته، والنتيجة أن الإنسان لا يستطيع أن يتوقف عن أن يخطئ ويضل باستمرار، ما لم يغيّره روح الله.

الجدال الخامس: أسلوب الله في تقسِيَة الإنسان.

لا يهتم الأشرار بإرضاء الله، كل ما يهمهم هو إرضاء أنفسهم. إنهم يكرهون بل ويقاومون كل ما يعيق تمتعهم بشهواتهم الأنانية. هذا ينطبق بصفة خاصة عندما يواجَهون بالإنجيل. في الإنجيل، يقطع الله الطريق أمام رغباتهم الملتوية وثقتهم بذواتهم، الأمر الذي يجعلهم أكثر مرارة وتقسِّيا ضد الله وكلمته.
إن الله لا يخلق شرا جديدا في قلوب الناس. إنه يستخدم الشر الموجود فعلا فيهم لأغراضه الصالحة والحكيمة. في ٢صم ١٠:١٦ قال داود عن شمعي: "دعوه يَسُبّ، لأن الرب قال له سُبّ داود"، لكن الله لم يصدر أمرًا أن شمعي يجب أن يسبَّ داود، بل الأحرى أن تسيُّد الله ضَمِن أن إرادة شمعي الشريرة، ستعمل ما هو طبيعي بالنسبة لها في الزمان والمكان، اللذيْن قصدهما الله.

الجدال السادس: تقسِيَة الله لقلب فرعون.

بناءً على ما سبق، لنرجع إلى حالة فرعون. لم يغيِّر الله طبيعة فرعون بروحه القدوس. لقد بقيت إرادة فرعون شريرة فاجرة. كان فخورا بقوته وعظمته، لذلك عندما أصابه الله بشيء ضايقه وأسخطه، لم يضبط نفسه أن يرد بأسلوب شرير. لقد ازداد عناده ورفض الإصغاء لصوت العقل.

إن كلمات الكتاب المقدس يجب أن تُفهم بحسب معناها الواضح البسيط. عندما يقول الله: "لكني أشدد قلبه (فرعون)" فإنه يقصد بذلك "سأجعل قلب فرعون يتقسَّى".

قد عرف الله وصرَّح تصريحًا أكيدًا بأن فرعون لا بد أن يتقسَّى، وبنفس التأكيد عرف أن فرعون لن يستطيع أن يوقف أعمال الله نحوه، وقد عرف الله أنه نتيجة لذلك فإن فرعون سيزداد سوءًا. إن الإرادة الشريرة لا ترغب إلا في عمل الشر. حتى عندما يوجِد الله بعض الأمور الصالحة – مثل الإنجيل – ليؤثر فيها، فإن الإرادة الشريرة لا تزداد إلا سوءًا. إنها تصبح متقسِّية.

لماذا لا يكُفّ عن وضع ضغوط ستؤدي إلى نتائج سيئة لا محالة؟ هذا السؤال كأنك تطلب من الله أن يكُفَّ عن أن يكون الله. لا يمكننا أن نتخيَّل أن الله يكف عن عمل الصلاح، لا لشيء، إلا أن الأشرار سيَرُدُّون بطريقة سيئة.

لماذا لا يغيّر الله الإرادات الشريرة في أناس أمثال فرعون؟ هذا السؤال يَمس إرادة الله السرّية، حيث "طرقه أبعد عن الاستقصاء" (رو ١١:٣٣). إن كان هذا يضايق أحدا محصورا بالمنطق البشري، فليكن. لن يغيِّر التبُّرم شيئا، أما المختارون فسيحتفظون بثباتهم. على نفس الوتيرة قد نسأل: ***"لماذا جعل الله آدم يسقط؟"*** يجب ألا نحاول أن

نضع قواعد لله. إن ما يجعل ما يفعله الله صوابًا ليس موافقتنا عليه بل لأنه يريده. البديل الوحيد هو أن تضع خالقا آخر فوق الله!

دعنا نعود إلى النص الكتابي. إنك تتجاهل المعنى الواضح البسيط للنص لأنك لا تحبه، ثم تضع "شرحك" له، لكننا يجب أن نفحص النص في قرينته لنكتشف هدف المؤلف وقصده. إن المعنى البسيط هو أن الله سيشدد قلب فرعون بواسطة الضربات، لكنك تقول ***إنه لا بد أن يكون بواسطة طول أناة الله وليس بالعقاب الفوري لفرعون.*** مرة أخرى أقول انظر إلى القرينة. لقد انتظر الله بصبر مدة طويلة، بينما كان فرعون يصيب بني إسرائيل بضيق شديد. واضح أنه عندما قال الله إنه سيشدد قلب فرعون، فإنه نوى على شيء مختلف – أي التحوّل من طول أناته وليس الاستمرار فيها. نحن نعرف لماذا كان هناك فرق. لقد كان الله ينوي أن يحرِّر شعبه من مصر. لقد قصد أن يعطي شعبه أسبابا إضافية للثقة فيه. إن مقاومة فرعون استدعت ضربات أكثر، وكانت كل ضربة جديدة تُثْبت قوة الله. ليس ذلك فقط، بل نرى موسى يسجل: "فاشتد قلب فرعون فلم يطلق بني إسرائيل كما تكلم الرب". بهذا كان إيمان الإسرائيليين في الله يزداد قوة.

إنك تريد أن تكون ***لفرعون "الإرادة الحرة" في أن يخضَع أو يتمرد،*** فتُصِرُّ على أن ***النص يعني أن فرعون هو الذي قسَّى قلب نفسه وليس الله.*** هل تعرف ماذا يعني ذلك؟ هذا يعني أن الله اعتمد على إرادة فرعون "الحرة"، وأنه لم يستطع أن يخبر موسى وشعبه مسبقا بما يحدث، لكن الواقع أن الله شدَّد قلب فرعون. لقد دفع فرعون ليفعل، ولم يكن أمام فرعون إلا أن يتصرف بما يتفق مع طبيعته. إذًا لا يمكن أن يدعم هذا النص "الإرادة الحرة"، بل على العكس يقدم الحجة القوية ضدها.

الجدال السابع: تعامُل إرازموس مع ما جاء في رو ٩:١٥-٣٣.

لقد عذَّبك هذا النص كثيرا. أنت مُصرٌّ على التمسك "بالإرادة الحرة" مهما كلف الأمر؛ لذلك فأنت تقدم كل أنواع التناقضات خاصة عن علم الله السابق. دعنا نكون واضحين جدا من هذا القبيل. على سبيل المثال، لقد عرف الله مسبقا أن يهوذا سيخونه، إذن كان لا بد أن يصبح يهوذا خائنا. لم تكن ليهوذا أيَّة قوة ليتصرف غير ذلك. لا شك أن يهوذا تصرف بحُرية وطوعا لما يتفق مع طبيعته. لقد عرف الله مسبقا كيف أن يهوذا كان مُلزَمًا أن يخون، وقد جعل الله العمل في حيز التنفيذ عندما قرر ذلك. إنه لا طائل من حديثك عما يسمَّى العلم السابق للإنسان، لأنه أبعد ما يكون عن علم الله السابق؛ فنحن نعرف مثلا أن كسوف الشمس سيحدث فيحدث، لا لأننا توقعنا ذلك، لكن عندما ينبئ الله بشيء فإنه يحدث لأنه أنبأ به. إن كنتَ لا تقبل هذا فهذا يعني أنك تقوِّض كل وعود الله وإنذاراته، بل إنك تنكر الله نفسه.

في أحد المواضع لديك الحسّ الجيد الذي يقبل تعاليم بولس، بأن الله يشاء ما يعرفه مسبقًا وهكذا يحدث، ثم أفسدت كل شيء بقولك ***إنك تجد أن ذلك صعب.*** إنك بذلك تحاول أن تهرب بقولك ***إن بولس لا يشرح الفكرة، لكنه لا يعدو أن يوبخ الذي يجادله*** (رو ٩:٢٠). ليس هذا أسلوبا تتعامل به مع النص المقدس. إن لمحة سريعة على النص، ستُظهر أن بولس لا يشرح الموضوع. في الواقع ليس هناك سبب للتوبيخ إن لم يكن هناك أناس يجادلون ضد شرحه. إن بولس يقتبس خر ٣٣:١٩ "أجيز كل جودتي قدامك، وأنادي باسم الرب قدامك، وأتراءف على من أتراءف وأرحم من أرحم"، ثم يشرح بولس بأن أعمال الله، سواء كانت رحمة أو تقْسِيَة، لا تعتمد على إرادة الإنسان على الإطلاق بل على الله نفسه. إن بولس يوضح أن علم الله السابق يضمن الأفعال التي يفعلها الناس. إذا حاولنا أن نثبت دور كل من علم الله السابق و"الإرادة الحرة" للإنسان سنواجه مشاكل عويصة، تماما كمحاولة إثبات أن ٩ هو نفس الرقم ١٠.

إن توبيخ بولس موجَّه لأولئك الذين يعارضون فكرة أنهم لا يملكون "إرداة حرة" ويعارضون حقيقة أن كل الأشياء تعتمد على إرادة الله وحده. هذا هو الموضع الذي عنده توقِّر عظمة الله في أحكامها الرائعة العجيبة المُلهِمة للهيبة فتقول: "لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض" (مت٦:١٠).

الجدال الثامن: المنطق الطبيعي يجب أن يسلّم بسيادة إرادة الله.

لا بد للذهن الطبيعي أن يسلِّم بأن الله سيكون إلها ضعيفا جدا مثيرًا للشفقة، لو أن علمه السابق لا يُعتمد عليه ويمكن أن يُنقض بالأحداث. لا شك أن الناس سيعترضون على فكرة أن الله الصالح سيتخلَّى عنهم ويقسِّيهم ويدينهم، كما لو كانت مسرته في خطاياهم وعذابهم الأبدي. لقد تعثرتُ أنا شخصيا بهذه الفكرة أكثر من مرة، ووصلت لأعمق هوةٍ من اليأس، حتى أني تمنيت لو لم أُخلق إنسانا. (كان هذا قبل أن أعرف قوة الشفاء الكامنة في هذا اليأس، ومدى قربه من النعمة). لهذا السبب حاول الناس أن يجدوا "تفاسير"، وكان لهم منطقهم أمام ما عُلِّم بوضوح وبساطة في كلمة الله.

مع أن منطق عدم الإيمان يستاء، لكنه سيُجبَر على التسليم بسيادة إرادة الله، حتى لو لم يكن هناك كتاب مقدس، ذلك لأن هناك شيئين مكتوبَيْن في ضمائر الناس – الأول هو أن الله له السيادة، وأن له سبق المعرفة بكل الأشياء دون استثناء أو خطأ.

الجدال التاسع: رو ٩:١٥-٣٣ (بقية).

في رو ٩:٢٠ ، ٢١، يقول بولس إن الناس مثل الطين والله مثل الخزاف، وليس هناك أوضح من أن ذلك يعني أن غرض بولس الكلي هو إنكار "الإرادة الحرة" في الإنسان. إن الغرض الكلي من هذه الرسالة هو أنه لو كانت هناك قوة في الإنسان لتخلِّص

نفسه، فإن النعمة تكون بلا فائدة. وفي أصحاح ١١:٢٠-٢٣ عندما يوضح بولس أن كثيرين من الأمم سيخلصون، فإنه ينسب هذا لا "لإراداتهم الحرة" بل إلى عمل الله في "تطعيمهم".

الجدال العاشر: سيادة الله و"الإرادة الحرة" لا يمكن أن يتعايشا.

سأورد لك مثالا من أسلوب تفكيرك. إنك تقول: ***"بالنسبة لعلم الله السابق غير القابل للنقض، فإن يهوذا كان مُجبَرا أن يصبح خائنا؛ وبالرغم من ذلك كان بإمكانه أن يغيّر إرادته".***

وسؤالي لك هو: هل تدرك ما الذي تقوله؟ لو كنتَ على حق، فإن هذا يعني أنه كان بإمكان يهوذا أن يغيّر علم الله السابق، ويجعله غير جدير بالثقة. أنتَ لا تتعامل مع المشكلة بأي حال. إنك تُشْبه قائد الجيش الذي يقود جيشه إلى المعركة ثم يتركه في الوقت الذي يكون فيه الجيش في أمَسِّ الحاجة إليه! إذ أنك تتحدث عن شيء آخر – ***ما إذا كانت إرادة الإنسان تُخْتَلّ بسيادة الله.*** فأنا أسألك سؤالا وأنت تجيب على سؤال آخر، لكني لن أدعك تتخلص من مأزقك بسهولة. عليك أن تواجه الورطة التي تواجهك .. كيف يتفق هذان الأمران معًا؟ ***"كان بإمكان يهوذا ألا يخون، ويجب بالضرورة أن يهوذا يخون".*** أليس ذلك تناقضا؟

الجدال الحادي عشر: تعامُل إرازموس مع ما جاء في ملا ١:٢-٣.

لا بد لنا أن نعود إلى النص الثاني من النصيْن اللذْين اعترفت بأنهما يمكن أن يدعما موقفي من "الإرادة الحرة"، مع أنك في الواقع تنكر أنهما كذلك. ما هي حجتك؟ يقول الوحي في تك ٢٣:٢٥ "كبير يُستبعد لصغير" وتفسيرك لذلك هو: ***"واضح أن ذلك لا***

علاقة له بخلاص الإنسان؛ لأن الله قد يشاء أن إنسانا يصبح خادما أو فقيرا دون أن يُرفَض من الخلاص الأبدي".

يا لك من إنسان متزعزع الذهن، إذ تحاول الهروب من الحقيقة! لكنك لا تستطيع الهروب. فكِّر في استخدام بولس للنص الموجود في رو ٩:١٢-١٣. هل يسيء بولس استخدام النصوص الكتابية، في الوقت الذي يرسي فيه أساس العقيدة المسيحية؟ بالتأكيد لا! لقد تجاسر جيروم وقال: ***"هناك أمور كان لها وقعها على بولس، لكنها غير موجودة في القرينة الأصلية"***. يمكن لجيروم أن يقول هذا، لكن هذا ليس دليلا على صحة ما قال. إن هناك أناسا مثل جيروم لا يفهمون بولس ولا النصوص التي يقتبسها. أنا لا أتفق معك في ***أن تك ٢٥:٢١-٢٣ تشير فقط إلى شخص يخدم الآخر***، لكن دعنا نفترض ذلك للحظة، ومع ذلك يمكننا أن نرى بولس يقتبسها اقتباسا صحيحا، ليبرهن أنه لم يكن هناك استحقاق لأي من يعقوب أو عيسو. إن ما يناقشه بولس هو ما إذا كانا قد بلغا ما قيل عنهما باستحقاقات "الإرادة الحرة"، وهو يثبت أن الإجابة لا، فالكل قد حُدِّد قبل ولادتهما.

إن تعليق بولس على تك ٢٣:٢٥ لا يجب أن يؤخذ بمعنى "مجرد خدمة وضيعة". إنه يحمل دلالة على الخلاص الأبدي. لقد كان يعقوب واحدا من شعب الله. إن الوعد له شمل كل أولئك الذين ينتمون لشعب الله – البركة، والكلمة، والروح، والوعد بالمسيح ومملكته الأبدية، وهذا يؤكده ما جاء في تك ٢٧:٢٧ وما بعده؛ لذلك فردُّنا على جيروم هو أن كل النصوص التي اقتبسها الرسل، لها قوَّتها في قرينتها الأصلية أكثر من قوَّتها في كتابة جيروم!

من حيث النص الموجود في ملا ١:٢-٣ الذي يقتبسه بولس، فإننا نقرأ: "أحببتُكم قال الرب. وقلتم بمَ أحببتنا؟ أليس عيسو أخا ليعقوب يقول الرب وأحببتُ يعقوب وأبغضتُ عيسو، وجعلتُ جباله خرابا وميراثه لذئاب البرّية".

أنت يا إرازموس لك ثلاثة أساليب للهروب من المعنى الواضح لهذه الكلمات. أول هذه المحاولات يتضح في قولك: ***"إننا لا نستطيع أن نأخذ هذا الكلام حرفيًا، لأن محبة الله وكرهه يختلفان عن محبة البشر وكرههم، فمحبة الله وكرهه ليس بهما أي أثر للمشاعر البشرية"***. وإجابتي هي أننا جميعا نعرف أن محبة الله وكرهه لا يشملان عواطف بشرية، لكن السؤال الذي نحن بصدده يستلزم ألا نسأل كيف يحب الله ويكره، بل لماذا يحب الله ويكره؟ لكن لأنك أردت أن تحوِّل الانتباه إلى السؤال ***كيف يحب الله ويكره***، دعنا نصرف لحظة لكي نرى إن كان هذا يخدم موقفك. الواقع لا. إن محبة الله وكرهه ليسا عرضة للتغير مثل محبتنا وكرهنا، فهُما في الله أبديان لا يتغيران. لقد تَثبَّتا قبل أي إمكانية للـ "إرادة الحرة". من ذلك يتضح أن محبة الله وكرهه لا ينتظران استجابة البشر، وهذا يتضح أكثر عندما نسأل لماذا يحب الله أو يكره؟ ما هو الأمر المحتمل الذي جعل الله يحب يعقوب ويبغض عيسو؟ بالتأكيد ليس شيئا فعلاه، لأن موقف الله منهما قد تحدد وأُعلن قبل أن يولدا. لم يكن هناك مجال لممارسة "الإرادة الحرة" في هذه المرحلة.

المحاولة الثانية للهروب من المعنى الواضح للكلمات هي هذه: أنت تقول ***إنه لا يبدو أن ملاخي يتحدث عن الكراهية التي ندان بها الدينونة الأبدية***. إنك تفترض أن ***ملاخي يتحدث عن متاعب تُختبر هنا على الأرض***. مرة أخرى أقول إن هذا افتراض افترائي بأن بولس يسيء استخدام النصوص الكتابية. دعنا نرى للمرة الثانية إن كانت محاولة الهروب من المعنى البسيط للكلمات تخدم موقفك. المؤكد أن قصد بولس في هذه الأعداد هو التأكيد على غياب الاستحقاق التام أو ممارسة "الإرادة الحرة"؛ حتى

لو كان بولس يتعامل مع أمور تُختَبَر على الأرض فقط، فقد استخدم توضيحا مناسبا من يعقوب وعيسو. على أي الأحوال فإنه من التزوير أن تفترض أن ملاخي يشير فقط إلى أمور تُختبر على الأرض. إن سياق النص يُظهر لنا أن الهدف هو توبيخ شعب إسرائيل لأنهم لم يتجاوبوا مع محبة الله لهم. إن محبة الله لهم تتخطى حدود البركات الأرضية، لأن النص يوضح أن إلهنا هو إله كل الأشياء. لن يقنع إله إسرائيل بعبادة القلب المنقسم وتقديم ذبيحة ناقصة عرجاء وسقيمة (ملا ١٣:١). إن العبادة الصادقة لله يجب أن تكون من كل القلب والقدرة لأنه الله، هنا وفي الدهر الآتي، في كل الأحوال وفي كل المناسبات، في كل الأزمنة وفي كل ما يعملون.

أما محاولتك الثالثة لتفادي المعنى الواضح لملاخي ٢:١-٣، هي قولك ***إن ملاخي يقصد أن الله يحب بعض اليهود ويكره البعض الآخر.*** أنت تعتقد أن هذا يفتح الباب لعدم إيمان بعض اليهود، مما يجعلهم مستحقين أن يُقطَعوا، وتعتقد أن "تفسيرك" يفتح الطريق لإيمان اليهود الآخرين، الذين يستحقون أن يُطعَّموا ثانية.
أنت لا تدري عما تتحدث! أنا أعرف أن الناس يُقطعون بسبب عدم الإيمان ويُطعَّمون بالإيمان، وأنه يجب تشجيعهم وحثُّهم ليؤمنوا، لكن هذا لا علاقة له بالإيمان أو عدم الإيمان بقوة "الإرادة الحرة".

الجدال الثاني عشر: الخزاف والطين.

إن النص الثالث الذي تقول إنه قد يدعَم موقفي، موجود في إش ٩:٤٥ "ويل لمن يخاصم جابله، خزف بين أخزاف الأرض. هل يقول الطين لجابله ماذا تصنع؟" وأيضًا إر ٦:١٨ "هوذا كالطين بيد الفخاري أنتم هكذا بيدي يابيت إسرائيل". واضح أن هذه النصوص تدعم موقفي، لكنك تحاول أن تراوغ قوَّتها بأن تجعل الفخاري يشير إلى اختباراتنا في هذه الحياة. أنت تفترض أن بولس عندما يستخدم هذه النصوص في رو ٩، فإنه يضيف إلى المعنى الأصلي الإفتراضي، بجعلها تشير إلى الاختيار الشخصي.

إنك بهذا تشهّر ببولس. ثم تضيف إلى الخلط الذي تعانيه، بالإشارة إلى ٢تي ٢٠:٢-٢١ "لكن في بيت كبير ليس آنية من ذهب وفضة فقط، بل من خشب وخزف أيضًا، وتلك للكرامة وهذه للهوان، فإن طهَّر أحدٌ نفسه من هذه يكون إناءً للكرامة مقدسا نافعا للسيد مستعَدًّا لكل عمل صالح". إنك تقول إن بولس هنا يكتب عن نفس الموضوع السابق ذكره في إش ٩:٤٥ ؛ إر ٦:١٨ ؛ رو ٩. إنك تَسْخَر من فكرة إناء خزفي يطهِّر نفسه، ومع ذلك فإنك تقول ***إن بولس يأمر الإناء ليفعل هكذا***، وتُثبت ما يرضيك بأن ***الإناء لا بد وأن يمثِّل الناس ذوي "الإرادة الحرة"***.

إن إجابتي في الواقع هي أن بولس في ٢تي٢٠:٢-٢١، لا يشير إلى نفس الموضوع الموجود في النصوص الأُخَر. إنه يستخدم صورة طبيعية بسيطة ليوضح موضوعًا مختلفًا تمامًا – هو التقوى الشخصية للمؤمن. أكثر من ذلك فالموضوع ليس الأواني بل المؤمنين، الذين أُمِروا بأن يقوموا بدَوْرهم، فعليهم أن يطهِّروا أنفسهم من كل ما يهين الله، فبالنسبة للأواني بعضها للكرامة والآخر للهوان، وسيدهم هو من يقرر استخدام كل واحد منها.

الجدال الثالث عشر: بر الله.

إنك تلجأ الآن إلى الذهن البشري. أنت لا يمكنك أن تقبل حقيقة أن الله يلقي بالأشرار إلى النار الأبدية. أنت تفترض أن ***هذا غير معقول، لأن الله خلقهم على ما هم عليه***، وبذلك تغيّب الحقيقة! إنك تضع نفسك في مصاف المتذمرين الذين يقتبس بولس منطقهم في رو ٩:٩، "فستقول لي لماذا يلوم بعد؟ لأن من يقاوم مشيئته؟" إذًا فالذهن البشري يقتضي أن الله يجب أن يتصرف بحسب أفكار البشر، من حيث ما هو خطأ وما هو صواب. صاحب الجلال الذي خلق كل الأشياء يجب أن يخضع لخليقته!!! يجب أن توضع القوانين بحيث لا يدين الله إلا أولئك الذين يستحقون ذلك

بحسب تقديرنا!!! عندما يخلِّص الله أولئك الذين لا يستحقون، لا أحد يتذمر، لكن عندما يدينهم الله، فالتذمر شديد. إن شر قلب الإنسان يظهر هنا. عندما يكون منطق الناس هكذا فإنهم لا يمجدون الله كإله. إنهم يسلبون حقه في السيادة. إننا لن نفهم كيف لله العادل أن يخلِّص الأشرار، إلا بعد أن نصل إلى السماء، فكيف إذن سنفهم كيف للإله العادل أن يدين الأشرار؟ ومع ذلك فإن الإيمان سيظل يؤمن بها هكذا، إلى أن يظهر ابن الإنسان ثانية.

الجدال الرابع عشر: بولس ينسب خلاص الإنسان لله وحده.

لا يوجد تعارض بين النصوص الكتابية، إلا إذا صممت على "تفاسيرك"، حيث يظهر التشويش. خذ مثالا على ذلك عدم التعارض بين: "إذا طهَّر أحد نفسه" (٢تي ٢:٢٠-٢١) وما جاء في ١كو ٦:١٢ "الله الذي يعمل الكل ....". فالنص الأول يوضح ببساطة ما يجب على الإنسان أن يفعله. هذا لا يعني أن له القدرة أن يفعله "بالإرادة الحرة"، بمعزل عن النعمة. أنا أعلم أنك مقتنع بأنه عندما يُعطَى أمر، فهذا يستلزم إمكانية الطاعة، لكن هذا غير معقول. إن النص الثاني يصرِّح بوضوح أن كل الأشياء هي عمل الله. ليس هناك تناقض. إن بولس ثابت في كل تعليمه بأن خلاص الإنسان يتم بقوة الله وحدها.

الفصل الرابع

تعليقات لوثر على معالجة إرازموس للنصوص التي تنكر الإرادة الحرة

		صفحة
الجدال الأول	: تك ٦:٣.	٧١
الجدال الثاني	: تك ٨:٢١ ؛ تك ٦:٥.	٧٢
الجدال الثالث	: إش ٤٠:١-٢.	٧٣
الجدال الرابع	: إش ٤٠:٦-٧.	٧٣
الجدال الخامس	: إر ١٠:٢٣.	٧٥
الجدال السادس	: أم ١٦:١.	٧٦
الجدال السابع	: يو ١٥:٥.	٧٦
الجدال الثامن	: تعاون الإنسان مع الله لا يبرهن على "الإرادة الحرة".	٧٧
خاتمة		٧٩

أخيرا يمكننا أن نأتي إلى النقطة التي تتعامل فيها مع النصوص التي أستخدمُها لإثبات بطلان "الإرادة الحرة".

الجدال الأول: تك ٦:٣ " لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر".

قبل كل شيء أنت تجادل بأن ***كلمة "بشر" هنا تعني الضعف البشري،*** لكن المعنى هنا مماثل لما هو في ١كو ٣:١-٣، حيث يقول بولس عن الكورنثيين إنهم "جسدِيُّون" أو "عالمِيُّون". إن بولس لا يشير إلى الضعف بل إلى الفساد. إن موسى في سفر التكوين يشير إلى الرجال الذين يتزوجون بدافع الشهوة والذين ملؤوا الأرض بالعنف، للدرجة التي جعلت روح الله لم يستطع أن يستمر معهم. سوف تلاحظ في النصوص الكتابية أنه حيثما ذُكرت كلمة "جسد" في مقابلة مع "الروح"، فهي تعني كل ما يقاوم روح الله، لكن عندما تُذكر وحدها، فإنها تشير إلى الجسم المادِّي. إذن فالفقرة تعني: "إن روحي الذي في نوح وباقي الناس المقدسين، يوبخ الأشرار عن طريق الكلمة، التي يعظ بها هؤلاء الناس، وعن طريق حياة التقوى التي يعيشونها. لكن هذا بلا جدوى، لأن الجسد قد أعمى الأشرار وقسَّاهم، وكلما أُدينوا ازدادوا شرًّا". إن هذا يحدث دائما، وواضح أنه إذا تحوَّل الناس من سيِّئ إلى أسوأ – حتى عندما يعمل الروح بينهم – فلا بد أنهم عاجزون تماما بدون الروح. إن "الإرادة الحرة" لا تستطيع أن تفعل سوى الخطية.

بعد ذلك أنت تخبرنا أن ***النص لا يشير إلى كل الناس، بل فقط إلى أولئك الذين عاشوا في ذلك الوقت.*** هذا ليس صحيحا؛ لأن المسيح قال عن كل الناس في يو ٦:٣ "المولود من الجسد جسد هو" وقد أكد على خطورة هذه الحالة بقوله: "إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله" (يو ٣:٣).

ثم بعد ذلك تقول ***إن النص لا يعني دينونة الله بل رحمته.*** إني أنصحك أن تقرأ ما قبل النص وما بعده. لا شك أنها كلمات إله غاضب. إذن فالنص يتعارض مع "الإرادة الحرة". إنه يوضح أن الناس ليس لديهم قوة لعمل الصلاح، بل لعمل ما يستحق دينونة الله.

الجدال الثاني: تك ٨: ٢١ "تصوُّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته". انظر أيضًا تك ٦: ٥ "كل تصوّر أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم".

أنت تسعى لتتحاشى المعنى الواضح لهذا النص، لذلك تقول ***إن هناك احتمالاً للشر في أغلب الناس، لكن هذا لا يسلبهم من "إرادتهم الحرة".***

إن الله يتكلم هنا عن كل الناس وليس عن أغلبهم فقط. بعد الطوفان ما يقوله الله هو إنه لن يعامل الناس بما يستحقون، لأنه لو فعل، لما خلص أحد. وسواء قبل الطوفان أو بعده فإن الله يصرّح أن كل البشر أشرار، وليس بعضهم فقط. يبدو أنك تتعامل مع الخطية في الإنسان باستخفاف، وكأنها شيء يمكنك علاجه بسهولة، لكن النص يقول إن كل طاقة إرادة البشر موجَّهة لفعل الشر. لماذا لا ترجع إلى الرسالة إلى العبرانيين؟ إن ما يقوله موسى بالتحديد هو: "كل تصوُّر أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم" (تك ٦: ٥). هذا ليس مجرد احتمال للشر، فالله يقول إن الإنسان طول أيامه لا يفكر أو يتخيَّل إلا الشر؛ لكنك قد ترد عليَّ بالسؤال: ***"لماذا إذن يسمح الله بوقت للتوبة، إن كانت التوبة ليست بقوة الإنسان؟*** والإجابة كما ذكرناها كثيرًا هي أن أوامر الله لا تستلزم قدرتنا على الطاعة. إن الله يخبرنا بما يجب علينا، لا لكي يثبت أنه باستطاعتنا أن نفعله، بل لكي نتضع ونسلِّم بأننا لا نستطيع.

الجدال الثالث: إش ٤٠: ١-٢ "عزُّوا عزُّوا شعبي يقول إلهكم. طيِّبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل، أن إثمها قد عُفي عنه، أنها قبلت من يد الرب ضِعفَيْن عن كل خطاياها".

هذا النص يعني أن صفح الله يُعطَى لأولئك العاجزين عن الحصول عليه أو غير المستحقين بأي حال، لكنك لا توافق على هذا. أنت تقول ***إنه يعني انتقام الله من خطايانا وليس نعمته،*** لكن عندما أعود للعهد الجديد، أجد أن هذا النص يتكلم عن صفح الله – المعلَن في الإنجيل – عن الخطية! دعنا ننظر إلى النص.

أنا أفترض أن الكلمة "عزُّوا" لا تعني تنفيذ قضاء الله! ثم يقول النص: "طيِّبوا قلب أورشليم" وهذا يعني: "تحدثوا لقلب أورشليم"، تحدثوا بكلمات الحب – كلمات حلوة ولطيفة. ثم التعبير "جهادها" يعني النير الثقيل لكفاحها، كي تحصل على الصفح بإطاعة الناموس (انظر أع ١٥: ٧-١٠) هذا الجهاد انتهي بسبب غفران الله المجَّاني. لقد قَبِل الناس من يد الرب ضِعْفَيْن، هذا يعني: أولا غفران الخطية، وثانيا التحرر من النير الثقيل للناموس، وأن هذا الغفران وهذا التحرر هو من كل خطيتها (أي أورشليم) كما يعني أنها (الناس) كانت كلها خطية ولا شيء غير الخطية. إن النعمة ليست مكافأة لمحاولات "الإرادة الحرة". إن النعمة تُعطى في مواجهة الخطايا وكل ما تستحقه هذه الخطايا.

الجدال الرابع: إش ٤٠: ٦-٧ "كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبَّت عليه".

أنت تقول ***إن كلمة "نفخة" تعني غضب، وأن كلمة "جسد" تعني ضعف الإنسان الذي ليست له قوة تجاه الله.*** لكن هل حقيقة أن غضب الله ليس له شيء آخر يُيَبِّسه، حتى أنه يضطر لأن يختار الضعف الإنساني التعيس؟ أليس من الأجدر أن يرفعه عنه؟

أنت تقول: ***إن زهر الحقل" يمثِّل الاعتزاز الذي يأتي من الازدهار في الأشياء المادّية،*** لكن هذا لا يمكن أن يكون صوابا، فاليهود يعتزُّون بهيكلهم وبالختان وبالذبائح، واليونانيون يعتزُّون بحكمتهم. إنه (زهر الحقل) ما يسمَّى ببرِّ الأعمال والحكمة الإنسانية التي تتلاشى بنفخة روح الله عليها، وهذا ما تؤكده إشارة إشعياء إلى "كل جسد". إن بعض الناس فقط يعتزُّون بالازدهار المادِّي، لكن الطبيعي أن يعتزَّ كل الناس بالأعمال البشرية والحكمة.

عند هذه النقطة من المهم أن نتنبه إلى ما جاء في يو ٦:٣ "المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح". هذا النص يوضح جيدا أن كل ما هو غير مولود من روح الله، هو جسد، وهذا لا يعني جزءًا فقط أو جزءًا كبيرًا من جسد الإنسان الطبيعي، ولا يعني على الإطلاق أن أفضل شيء في الإنسان هو جسد، بل يعني، وبكل وضوح، أن كل الناس هم جسد بدون روح الله، وبالتالي هم تحت قضاء الله.

أنت تعتقد أن هذا ليس صحيحا، إذ تعتقد أن ***هناك بعض الناس يفضلون الموت ألف مرة عن أن يرتكبوا عملا دنيئا، مع أن أحدا لن يراقبهم، وأن الله سوف يصفح عنهم لو ارتكبوه***. لكنك ما زلت تنظر إلى الأعمال الخارجية. عليك أن تنظر إلى القلب. حتى بافتراض وجود مثل هؤلاء الناس، فإن تصرفهم يجلب المجد لأنفسهم، لأنه بعيدًا عن روح الله، لا توجد الرغبة في تمجيد الله بأفعالهم.

كما أنك تسأل ***إن كان كل ما يُدعَى "جسد" لا بد أن يسمَّى شريرًا***. أجيبك بنعم؛ فالإنسان شرير إذا كان بدون روح الله؛ والكتاب المقدس يقول إن الروح أُعطِيَ ليبرِّر الفاجر. لقد قال يسوع إن المولود من الجسد لا يقدر أن يرى ملكوت الله. لا توجد أرضية مُشْتَرَكَة بين ملكوت الله وملكوت الشيطان. إن لم يكن الإنسان في ملكوت الله فلا بد أنه في ملكوت الشيطان.

ثم تسأل: ***"كيف أعلِم أن الإنسان ليس سوى جسد حتى إذا كان مولودًا من الروح؟"*** أين يمكنك أن تحلم مثل هذا الحلم؟ لقد وضعتُ حدًّا فاصلا بين "الجسد" و "الروح". الإنسان غير المولود من الروح هو "جسد" والإنسان المولود من الروح هو روح – باستثناء بعض أمور الجسد التي تستمر في إزعاجه.

الجدال الخامس: إر ٢٣:١٠ "عرفتُ يا رب أنه ليس للإنسان طريقه. ليس لإنسان يمشي أن يهدي خطواته".

هنا أنت أيضًا تلوي المعنى الواضح البسيط للنص، إذ تقول ***إنه يعني أن الله، وليس الإنسان، هو من يجعل الأحداث تأتي بنتائج سعيدة وليس لهذا شأن "بالإرادة الحرة".*** وأنا أسألك: "هل كلمات إرميا تحتاج أي تفسير؟ لا شك أن إرميا يعني ببساطة أن عناد الناس في رفض كلمة الله، قد أقنعه بأن الإنسان عاجز أن يعمل الصلاح بقوَّته الذاتية.

وحتى بافتراض أن فكرتك صائبة – ما الفائدة؟ فإن كان الإنسان لا يستطيع جعل الأحداث الطبيعية تأتي بنتائج سعيدة، فكيف له أن يفعل شيئا بخصوص مصيره الروحي؟

أنت تجادل بأن ***الكثيرين يتحققون من حاجتهم لنعمة الله ليعيشوا باستقامة، وأنهم يسعون إلى ذلك بالصلوات اليومية ابتغاء معونة الله.*** تقول ***إنهم بفعلهم هذا يستخدمون مجهودا بشريًّا،*** لكنك بذلك لا تثبت قوَّة "الإرادة البشرية". مَن الذين يطلبون معونة الله سوى أولئك الذين يسكن فيهم روح الله؟ إن من يصلي فإنه يصلي بالروح (رو ٨:٢٦-٢٧).

الجدال السادس: أم ١:١٦ "للإنسان تدابير القلب ومن الرب جواب اللسان".

مرة أخرى تريد أن تشير إلى أحداث الحياة اليومية، وأنا أكرر أنه حتى إذا كنتَ أنت على صواب، فإن هذا يجعل من الصعب احتمال أن نقرر مصيرنا الروحي بأنفسنا، وحقيقة أن كل شيء في المستقبل قرّره الله، لا بد وأن ينشئ في داخلنا خوف الله.

أنت تربط هذا النص بنَصَّيْن آخريْن من سفر الأمثال. النَّص الأول في أم ٤:١٦ "الرب صنع الكل لغرضه والشرير أيضًا ليوم الشر". لقد أحسنت بإشارتك بأن ***هذا لا يعني أن الله خلق أي مخلوق شرير.*** "أحسنت" وأنا لم أقل غير ذلك!

النَّص الثاني في أم ١:٢١ "قلب الملك في يد الرب كجداول مياه حيثما شاء يميله". أنت تقول ***إن كلمة "يميله" لا تعني يُخضع،*** وتقول إن ***الملك يَخضع للشر بأن يسمح له الله بأن يفسح المجال لأهوائه،*** لكن لا يهم إن كنت تفكر في سماح الله أو إخضاع الله، فلا تزال الحقيقة هي أنه لا يحدث شيء بدون إرادة الله وعَمله. إن النص يشير إلى إنسان واحد – الملك، وما ينطبق على واحد ينطبق على الكل.

الجدال السابع: يو ٥:١٥ "أنا الكرمة وأنتم الأغصان، الذي يثبت فيَّ وأنا فيه، هذا يأتي بثمر كثير؛ لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا".

هذا كان النَّص الذي قلتُ عنه إنه لا مهرب منه، لكنك تتمسك بالكلمة الصغيرة "لا... شيئًا" وتقتلها! فتقول إنها ***يمكن أن تعني "لا... شيئًا مُتقَنًا"*** وبالتالي تُقرأ هكذا: ***"بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا مُتقَنا"***. والسؤال ليس إن كان يمكن أن تعني ذلك، بل إن كانت تعني ذلك. أنت تقول ***إنها تعني أنه بدون المسيح يمكننا أن نفعل "بعض الشيء غير المتقَن"،*** لذلك فأنا أيضًا أفترض أنه عندما يُكتب في يو ٣:١ "وبغيره لم يكن شيء مما كان"، أن ذلك يعني "بدونه فإن قليلا من شيء غير متقَن قد عُمل". يا

للغباء! إنه من أخطر ما يكون أن تعالج النصوص الكتابية بهذه الكيفية، ومن غير الممكن أن تصل إلى ضمائر الناس. دعنا نسلِّم بأن "لا شيء" هنا تعني "لا شيء".

تحت حكم الشيطان فإن الإرادة البشرية ليست حرة بعد وليست لها قوَّتها الذاتية، لكنها مستعبَدة للخطية والشيطان، ولا يمكنها أن تريد إلا ما أراد سيدها. إنك تتجاهل ما يعقب النص: "إن كان أحد لا يثبت فيَّ يُطرح خارجا كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق" (عدد٦). الإنسان بعيدا عن المسيح يُرفض تماما من الله ويُلقى في النار.

أنا لا أستطيع أن أفهم لماذا تقتبس ١كو ٢:١٣ لتدعم قضيتك. "وإن كانت لي نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم، وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لي محبة فلستُ شيئًا". إن كان أحد بدون محبة، فإنه بالمعنى الحقيقي لا شيء أمام الله؛ لأن هذه المحبة هي عطية النعمة. وهذا يُثْبِت أن "لستُ شيئًا" تعني "لستُ شيئًا" ولا شيء يمكن أن يغيِّر هذه الحقيقة! بدون النعمة لا يستطيع الإنسان أن يفعل شيئًا. إن "الإرادة الحرة" لا تستطيع أن تعمل شيئًا، والواقع أنها لا شيء.

الجدال الثامن: تعاون الإنسان مع الله لا يبرهن على "الإرادة الحرة".

إنك تستخدم بعض الأمثلة التوضيحية لتصف تعاون الإنسان مع ما يقوم به الله. مثال على ذلك "الفلاح الذي يجمع المحصول، لكن الذي أعطاه هو الله". بلا شك أني أعي تعاون الإنسان مع الله، لكن هذا لا يبرهن على أي شيء من "الإرادة الحرة". إن الله كليُّ القدرة. إنه متحكم تماما في كل ما خلقه بمفرده، وهذا يشمل الأشرار ، جنبا إلى جنب مع أولئك الذين برَّرهم الله وأحضرهم إلى ملكوته ويتعاونون مع الله في هذا العالم. يجب على كل الناس أن يتبعوا ويطيعوا ما قصد لهم الله أن يفعلوه.

إن الإنسان لم يسهم في خلق نفسه، ولأنه خُلق، فإنه لا يُسهم في استمرار كونه خليقة الله. إن كلا من خَلْقه واستمرار وجوده، هما مسؤولية قوة الله المستقلة وصلاحه بالتمام، فهو الذي يخلقنا ويحفظنا دون أي مساعدة من جانبنا.

إن الإنسان قبل أن يتجدد لينضم إلى الخليقة الجديدة في الملكوت الروحي، لا يساهم بشيء في تهيئة نفسه لتلك الخليقة الجديدة، وذلك الملكوت الجديد. وبنفس الكيفية عندما يتجدد، لا يساهم بشيء لحفظه في ذلك الملكوت. إن الروح القدس وحده هو الذي يجددنا ويحفظنا عندما نتجدد، دون مساهمة منا، لذا كتب يعقوب: "شاء فولدنا بكلمة الحق لنكون باكورة من خلائقه" (يع ١٨:١). (إن يعقوب يتحدث عن الخليقة الجديدة). لكن الله لا يجددنا بدون علمنا بذلك، لأنه يجددنا ويحفظنا لهذا الغرض الخاص، ألا وهو أن نتعاون معه.

فما هو فضل "الإرادة الحرة" في كل هذا؟ ماذا تبقَّى لها؟ لا شيء! لا شيء على الإطلاق!

خاتمة

في هذا الجدال، لستُ أريد أن أشعل نارا أكثر من الضوء، لكن إن كنت جادلت بشدة لحد ما، فإني أعترف بخطئي إن كان خطأ. لكن لا، أنا واثق أن شهادتي هذه تُحمل إلى العالم بكل سرعة من أجل الحق الإلهي. ليت الرب يؤكد هذه الشهادة في اليوم الأخير! من سيكون أكثر سعادة مني – تؤيده شهادة آخرين بمحافظتي على الحق دون تكاسل أو خداع، بل بكل قوة مع تجنب الأذى!

إن بدا لك أني أحدثتُ مرارة لك فإني أطلب صفحك. أنا لا أفعل ذلك بدافع سوء نيَّة؛ لكني كنت مهموما؛ لأنه بسبب ثقل اسمك، كنتَ تفسد حق المسيح.

من يستطيع أن يتحكم دائمًا في قلمه ولا يبدي دفئًا أحيانا؟ حتى وإن كنتَ ألقيتَ سهامًا ملتهبة نحوي، لكن هذه لا علاقة لها بالجدال، ويجب علينا نحن المشتركيْن في هذا الجدال، أن نسامح بعضنا؛ لأننا جميعا بشر ولا يوجد أي شيء فينا ليس بشريًّا. ليت الرب – صاحب هذه القضية – يفتح عينيك ويعينك لكي تمجده. آمين.

تذييل

التاريخ التابع للجدال وأهميته اليوم

ماذا يستفيد قارئ القرن الواحد والعشرين من الجدال الموجود في كتاب لوثر "عبودية الإرادة"؟ بعد أن قرأتَ هذا التعريب للنسخة المعدلة المختصرة والمبسطة لكتاب لوثر، لا بد أنك أُعجبتَ بهذه القدرة العجيبة في الجدال، لكن ما يجب أن يشغلنا هو إن كان موقفه كتابيا أم لا. إن كان ما كتبه هو من تعاليم كلمة الله، فعلينا أن ننتبه إليه في أيامنا هذه.

بعض الناس سيستنتجون أن ما كتبه لوثر يسمَّى الآن كالفينية؛ ولذلك سوف يحرمون أنفسهم مما يحتويه. إن الكنيسة اللوثرية في العصور الحديثة، يبدو أنها فعلت ذلك، ولا شك أن الكثير من المؤمنين الإنجيليين في يومنا هذا سيفعلون كذلك.

إذا تأملنا عصر الإصلاح، سيتضح أن قادة البروتستانت – لوثر وزوينجلي وكالفن وبوستر وبيزا وميلانكثون وجون نوكس وغيرهم – أجمعوا على أن الإنسان عاجز بطبيعته أن يعمل شيئًا لخلاص نفسه، وأن الله صاحب السيادة المطلقة في النعمة.

ربما اختلف المصلحون في أمور أُخَر، لكنهم اتفقوا جميعا على هذه الحقيقة، والحقيقة هي أن هذه كانت العقيدة الأساسية لحركة الإصلاح. كثيرًا ما ظن الناس أن عقيدة التبرير بالإيمان هي الحقيقة المركزية في لاهوت الإصلاح، لكنّ المصلِحين، برجوعهم لتعاليم الرسول بولس، أكدوا أن خلاص الخاطئ في مجمله إنما هو بالنعمة المجانية من الله وحده.

إن عقيدة التبرير بالإيمان مهمة، لأنها تحمي مبدأ أن الإنسان خاطئ عاجز، يخلُص بنعمة الله فقط، لكن الحقيقة المركزية للإصلاح، كانت حقيقة أن نعمة الله مجانية ومستقلة.

ولم تتوقف معارضة موقف المصلحين. لقد توهجت بقوة في البدعة الأرمينية التي تنكر أن الإنسان عاجز تماما، وتشير إلى أن ***الخلاص يرتكز حقا على شيء نفعله تجاه أنفسنا.*** هذه الأمور علَّمها شخص يُدعَى فان هارمن (أرمينيوس) (Van (Arminius Harmanالذي أصبح أستاذا للاهوت في جامعة ليدين Leyden University في هولندا عام ١٦٠٣. في عام ١٦١٨ عُقد سنودس دولي في دورترخت (دورت)(Dortrecht (Dort واستمر لمدة ٦ شهور. في ذلك السنودس رُفضت تعاليم أرمينيوس وشُجبت.

لكن الأرمينية لم تمت بسنودس (دورت) فهي ما زالت حية وفعالة. لقد نشرها جون ويسلي ولا زالت منتشرة. ما تفعله تعاليم أرمينيوس هو ***تقسيم خلاص الخطاة بين الله والخطاة أنفسهم: جزء من الخلاص يُقال عنه عمل الله، وجزء يُقال عنه أن الخطاة يفعلونه لأنفسهم.*** إن تعليم الكتاب المقدس الذي وافق عليه المصلِحون، ينسب إلى الله كل الفضل في خلاصنا. إن الخلاص يعتمد على نعمة الله المستقلة، وعمل المسيح التام والكامل، وعمل الروح القدس كلي القدرة والفاعليَّة. لإلهنا كل المجد: "إن الخلاص هو من الرب".

إن الأرمينية قريبة جدا من تعاليم روما بخصوص الخلاص، لأن كليهما يعلِّم بأن ***الله غير قادر أن يخلص الخاطئ دون تعاونه!*** (لو كان تعاون الخاطئ ضروريا، كيف كان لشاول الطرسوسي أن يخلُص؟) إن تعاليم أرمينيوس هي ***إنكار ورفض لمسيحية***

العهد الجديد، ومساندة لديانة الأعمال. إن الاتكال على نفسك في الإيمان، لا يختلف عن اتكالك على نفسك في الأعمال، فكلاهما ليس من المسيحية في شيء.

إن الكتاب الذي قرأتَه كُتب عن أمر حيوي. إن ما حارب عنه لوثر لا يزال يحتاج من يحارب عنه. ما دافع عنه المصلِحون ما زال في حاجة لمن يدافع عنه. لقد علَّم لوثر وغيره من المصلِحين أن الخلاص بالنعمة، كما أظهرته كلمة الله بكل وضوح. لا يوجد أمر أهم من ذلك اليوم. ما كتبه لوثر ما زلنا في حاجة إليه اليوم! إن كلمة الله لا تنتهي فترة صلاحيتها، ولا يزال الله يتكلم للناس اليوم، كما فعل ذلك دائمًا.